السنة الثالثة 		العدد ٤ 		١٥ شباط سنة ١٩٠٠

المشرق

لمعة في اصل تاريخ المسكوكات

لحضرة الاب الفاضل الخوري بطرس شبلي الدفوني

قال ارسطو في كتاب السياسة (ب ١ ف ٦): « ان الضرورة ارشدت المرء الى وضع النقود. وكان الناس في بادئ امرهم يتخذون في المبادلات مادةً ما ذات قيمة اصطلحوا عليها فاستخدموها في لوازم عيشهم كالحديد والفضة وغيرها ووضعوا لها قياساً ووزناً. ثمَّ بعد ذلك رسموا عليها علامة تدلُّ على قيمتها وتغني صاحبها عن وزنها في كل حين » اه

(قلنا) ان الفيلسوف قد استوعب في هذه الاسطر الوجيزة تاريخ السكة والمسكوكات فبيَّن الاطوار التي مرَّ بها البشر قبل ان يتخذوا النقود المضروبة كما هي اليوم

١ الطور الاول . في مساومات البشر في بدء المجتمع ومصطلح نقودهم

انَّهُ لامرٌ طبيعي للانسان ان يُعطي ما بيدهِ ليقتني بهِ ما عِلك غيرهُ كما ترى ذلك جارياً بين الشعوب في اوائل تاريخهم وقبل رسوخ قدمهم في المدنيَّة وهم اذ ذاك اشبه بالاولاد في تصوُّراتهم واعمالهم وتدرجهم الى العلوم والتمدُّن

قال احد فقهاء الرومان (١): « اصل الشراء والبيع المبادلة لانهُ لم يكن في الاعصر القديمة للدراهم وجود. بل كان كلُّ انسان يُعطي لسدِّ حاجتهِ ما لا يحتاج اليهِ ويأخذ ما ينتفع منهُ لانَّ اشياء كثيرة كانت تتوفَّر عند الواحد ويعزُّ وجودها لدى غيره »

الَّا انهُ اذا اراد ان يعطي شيئاً بدلاً مما تتوق اليهِ نفسهُ يبدأ بتخمين اي تثمين

(١) راجع الفقه القديم Julius Paulus: *Pandectes*, XVIII, 1

ماله ومال غيره ليعرف قيمة كليهما فلا تكون صفقتهُ خاسرة. ولا بدَّ لهذا التثمين من قاعدة ثابتة او قياس اصطلاحي مقرَّر يرجع القوم اليهِ في كلّ آن. ويقتضي ان يكون هذا القياس بسيطاً لا يتجاوز ادراك العامَّة ليصيب لديهم قبولاً ويكون التخمين على طرُق مختلفة كالعدد والقياس والوزن. وهذه القياسات تجد اكثرها في الهيكل البشري في القامة والذراع والاصبع والقدم والخطوة الخ

ولطالما حاول الاقدمون استعمال وسائط عديدة لتسهيل المتاجرة قبل ان يخترعوا النقود بعد طويل الزمان وتوالي الامتحان شأن البشر في داني الملتمس من الامور. واكثر ما كانوا يختارون لذلك ما توفَّر عندهم وجودهُ وجعلوهُ قياساً وقاعدةً في البيع والمبادلة يُنزلونهُ بمنزلة الدراهم في ايَّامنا. فكان اهل البدو مثلاً يعدّلون قيمة الاشياء نسبةً الى الخروف او البعير والناقة وبقي ذلك زمناً طويلاً. قال المقريزيّ في مقالتهِ عن النقود الاسلاميَّة (ص ١٨): «وكانت الامم في الاسلام وقبلهُ لهم اشياء يتعاملون بها بدل الفلوس كالبيض والكسر من الخبز والورق ولحى الشجر والودع الذي يُستخرج من البحر ويقال لها الكَوْدَة وغير ذلك». وكان اهل الحراثة يرجعون الى شيء من الحنطة او غيرها من الحبوب

ثم ان الدول الكبرى نفسها اصطلحت على اصناف من الموادّ والادوات وترى الشواهد على ذلك لا تُحصى. فانَّ من اعتبر العاديَّات المصريَّة وجد في النقوش والصور التي رُسمت على جدران معابدها ومدافنها اناساً بايديهم اداةً كالحذاء او قارورة طيب او قطَع من العاج او صدف ثمين. وإنَّ هؤلاء غيرُ مساومين يطوفون الاسواق فاذا عثروا على مطلوبهم سالوا عن ثمنهِ واتَّفقوا مع صاحبهِ وبادلوهُ بما لديهم (١. وكذا ترى في الآثار الاشوريَّة. وهي الطريقة التي شاعت اوَّلاً عند اليونان كما روى هوميروس الشاعر (٢. وكثير من هذه المساومات البسيطة لا تزال جارية الى يومنا في الانحاء التي فيها يعزّ وجود النقود كبعض قبائل البادية وقسم من الحبش وبعض شعوب افريقية وقد شهد على ذلك كثيرون من السيَّاح (٣

١) راجع تاريخ الامم الشرقيَّة القديمة لماسبرو (Maspéro) في المجلد ١ ص ٣٢٢

٢) راجع الالياذة (ك ٧ الشعر ٤٧٢ وما يليهِ) والاوديسي (ك ١٦ ش ٤١٥–٤٦٣

٣) راجع كتاب بابلون Babelon : *Les Origines de la Monnaie*, pp. 8 *et* 55

٢) الطور الثاني في تاريخ المسكوكات. وهو اتخاذ المعادن غير المضروبة

غير انّ البشر وجدوا بكرور الاعصار خللًا كبيرًا في اتخاذ هذه القواعد الاصطلاحيّة في المساومات لعدم امكان ضبطها. ولمّا كان الانسان ذا عقل ابدعهُ فيه الخالق ليتخطّى بنوره الى كلّ جديد مفيد (وما التمدّن سوى ثمرة هذا الغرس الكريم وادراك ما لم يخطر في بال السالفين) جعل الاقدمون يبحثون عن طريقة تكون اقرب منالًا في المعاملات. والفينيقيون اجدادنا سبقوا غيرهم من الامم الى هذا الاختراع فانهم لمّا جالوا في البلاد قاصيها ودانيها واطلعوا على ما فيها من الكنوز المدفونة والمعادن المجهولة طفقوا يشغلون السكّان باستخراجها ويستبدلونها ببضاعتهم اي بالملابس الفاخرة والمنسوجات والحليّ وآنية الزجاج. وربّما استعملوا المعادن كالذهب والفضّة والرصاص والحديد دون سبكها كما يجدونها في معادنها او بحكّ برادتها وانّما كانوا يتعاملون بالمعادن وزنًا فقط كما هو جارٍ في ايامنا في بلاد الصين اذ لم يضربوا قطّ نقودًا من الذهب والفضة

والذي حملهم على استعمال هذه المعادن وتفضيلها على ما سواها خواصّها الجوهرية وصلاحيتها لمتاجراتهم. ومن هذه الخواص انّ كريمها لا يتغيّر ولا يفسد ويبقى طويلًا دون ان تنقص قيمتها ثمّ انها لا تتحطّم ويسهل نقلها ولا يقتضي لحفظها كبير عناء. ومنها ما يصلح للزراعة والزينة والعُدد الحربيّة. ولذلك شاع استعمالها وبطلت المتاجرات بالمواشي والغلات فتبادلوها وتناقلوها تارة مسحوقة كالذرور وتارة بهيئة السبائك او على شكل آلات كالقسيّ والمُدى والحليّ والاساور. وقد اختصر القزويني اوصاف الذهب في المتاجرات فقال: «الذهب لا يبلى في التراب ولا يصدأ على طول الزمان وهو ليّن اصفر برّاق ثقيل رزين.. فهو اشرف نعمة الله على عباده اذ به قوام امور الدنيا ونظام احوال الخلق لاضطرارهم اليهِ في حاجاتهم. فانّ كلّ انسان محتاج الى اعيان كثيرة من مطعمه وملبسه ومسكنه وسائر حاجاته ولعلّهُ يملك ما يستغني عنهُ كمن يملك الثياب وهو محتاج الى البُرّ ولعلّ صاحب البرّ لا يحتاج الى الثياب فلا بُدّ من متوسّط يرغب فيهِ كلّ احد فخلق الله تعالى الدراهم والدنانير متوسّطَين بين الاشياء حتى يُبذلا

١) راجع مجاني الادب ٣: ٢٦٦

في مقابلة كلّ شيء. ويُبذل في مقابلتهما كلّ شيء. وهما كالقاضيين بين جميع الناس يقضيان حوائج كلّ من لقيهما»

وجرى قدماء المصريين على طريقة الفينيقيين فانهم استعملوا المعادن دون ان يضربوها ومن هذه المعادن ما وجدهُ الفراعنة في بلادهم كالذهب فانَّ مناجمهُ كانت في بلاد الحبش الخاضعة لهم ومنها ما كان يُدفع للفراعنة كجزيةٍ فانَّ سوريَّة مثلاً كانت تقدّم كجزية للفراعنة الذهب والفضة (١. وكانوا يتعاملون بهذه المعادن وزناً. الّا انهم بعد حين تعقَّبوا آثار الفينيقيين فجعلوا المعادن قطعاً صغيرة بثقل معلوم فقامت مقام النقُود الصغيرة التي نعرفها اليوم باسم القراطة (٢. ومثلهم الاشوريون

وقد شاع عند سائر الامم الناطقة باللغات الساميَّة اطلاق لفظة שקל بمعنى وَزَن ودفع المال . وكان العبرانيون ايضاً يعطون بالوزن ثمن ما يشترونهُ كما يشهد بذلك الكتاب في اماكن عديدة (٣. وقد عثرنا غير مرةٍ في كتب العرب بلفظة وزن المال. بل لفظة الدرهم والدراهم لا تزال تؤخذ عياراً ونكرة للنقود والمال. وقد سمّى اليهود ככר (كَخَرًا) اي حلقة المثقال الذي عُرف عند اليونان والرومان باسم talentum

٣ الطور الثالث. وهو تاريخ النقود المضروبة

وجرى الاقدمون على هذا المنوال قروناً عديدة حتى الامم المتمدّنة منهم كاليونان والفرس الى ان وُجدت السكّة. وكان ذلك كما يأتي: وهو انَّ بعض تجار اليونان وضعوا قطعاً معدنيَّة ثابتة الوزن وطبعوا عليها اشكال هندسيَّة وعلامات شتى فكان لكلّ منهم علامة وهي كالامضاء الذي يوقّعهُ معاصرونا على الاوراق التجاريَّة. واقدم ما حُفظ منها واعتمد عليهِ اهل التاريخ سبائك صغيرة الحجم ضُربت بالمطارق عليها اشكال مختلفة وليس عليها صورة (٤

واقدم ما ضُرب من المسكوكات التي لا يُنكر عليها هذا الاسم وُجدت في بلاد

١) راجع Lepsius : *Les Métaux dans les inscript. égyptiennes*, p. 16

٢) Lepsius : *Denkmäler*, t. III, 10 a, 39 a, etc.

٣) اطلب سفر التكوين ٢٣: ١٦ عدد ٧: ١٢-٢٥ خروج ٢١: ٣٢ احبار ٢٧: ٣ الخ

٤) بابلون *Les Orig. de la Monnaie*, p. 107

آسيَّة الصغرى ترى على قفاها علامةً كما سبق وعلى الوجه صورةً نُقشت على السكَّة باعتناء كلّي. وكان ظهورها في بحر المائة السابعة قبل المسيح (١ ومن ذلك الحين جرت العادة ان يُطبع على النقود صورةٌ ما بدلًا من العلامات التي صار استعمالها سابقًا. وهذه الصورة على الأكثر صورة بعض الحيوانات او الرموز وتختلف من مدينة الى اخرى

واوَّل ما نُقِرَ عليهِ شيء من التاريخ دراهم وُجدت في مدينة هاليكرنس وهي مدينة في آسيَّة الصغرى من اعمال كاريا (Carie) القديمة وعليها صورة أَيل يحني رأسهُ نحو الارض ليرعى وتعلوهُ هذه الكتابة اليونانيَّة واحرفها مرسومة من اليمين الى الشمال (AMHΣ IME ΣONNAΦ) Φάνος ἐμὶ σῆμα اي: اني علامة فانس. والايل رمز لمدينة افسس حُفر على سكّتها اكرامًا لالهة المقام ارطميس (ويسمّيها اللاتينيون ديانا وهي إلهة الصيد). واذ لم يتولَّ على هذه المدينة احد باسم فانس قال العلامة بابلون وكثيرون من علماء العاديَّات (٢ ان فانس هذا من كبار التجّار الذين استثمروا معادن البلاد وكنوزها في تلك الايام

ولم يضع احد من الملوك اسمهُ على السكَّة قبل القرن الخامس ق م. واستمرَّ التجّار وذوو الاموال يضربون السكَّة باسمهم الى ان قلَّت ثقة الناس بهم فخلفهم الملوك في ذلك وجعلوا السكة من القاب الدولة والسلطان. ومع ذلك ما برح التجّار يضربون علامتهم على نقود الملوك لدفع الريب واتقاء الغشّ

وقد ظهرت السكة في بلادنا السوريَّة على عهد ملوك الفرس قبل قدوم الاسكندر الكبير واليونان اليها. ثم بعد موت الاسكندر وانقسام المملكة ضُربت السكة لخلفائهِ في كلّ المدن السوريَّة. وطرأ عليها ما ليس بوسعنا ان نبحث عنهُ في هذا المكان. وفي ما سبق كفاية لتعريف مبادئ النقود والله اعلم

---

١) اخطأت مجلة الضياء بقولها في عدد ١٥ نوفمبر ١٨٩٩ ص ١٢٩: «واقدم سكَّة وجدت في العاديات لا تتعدى الى ما وراء القرن السادس ق م»

٢) في تأليفهِ المذكور ص ١١٨–١١٩

طائفة الارمن الكاثوليك

نبذة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة)

٤

قد احسن الارمن الكاثوليك بانتقالهم من وادي الكريم الى بزمَّار . فانَّ لديرهم هذا موقعاً نعماً تراهُ على قنَّة جبل وهو يجمع بين صفاء الهواء وحسن المنظر وأمن السكن بجوار قوى عامرة تحيط بهِ احاطة الهالة بالقمر . واوَّل من زيَّن هذا المقام بفضائله السامية البطريرك يعقوب بطرس الثاني خلف البطريرك ابراهيم ارزيڤيان الذي لخَّصنا في مقالتنا السابقة اعمالهُ العجيبة . وكان يعقوب كفوءاً لان يسوس طائفتهُ ويصونها من المخاطر المحدقة بها وكانت الأيَّام قد حنَّكتهُ فصبر على بلايا الدهر وانتصر على كلّ اعدائه بشهامة نفسهِ وثقتهِ بالله . فانهُ ما رُقي الى درجة الكهنوت في مدينة سيس حتى اخذ يطوف بلاد الارمن ليهدي الضالّين ويقوّي المؤمنين في الايمان فاصابتهُ محن وبلايا بيَّنت سموَّ فضلهِ . ولمَّا تولى على كرسي حلب زادت غيرتهُ المستعرة لخلاص الاخوة المنفصلين فأرجع منهم بمواعظهِ وكتاباتهِ عدداً غفيراً الى حظيرة الايمان من جملتهم اسقف انقرة . وكان ارتقاؤهُ للسدَّة البطريركية ضامناً لحسن مستقبل طائفة الارمن الكاثوليك وتقدُّمها في معارج الفلاح وسُرَّ البابا بنديكتوس الرابع عشر بانتخابهِ وارسل لهُ براءة التثبيت في ١٣ ايلول سنة ١٧٥٠ غير انَّ الله لم يمتّع بهِ الارمن الاَّ اربع سنوات فمات ميتة الابرار في ١٥ ايار سنة ١٧٥٣ وعمرهُ ٦٤ سنة

ومن اعمالهِ المشكورة انهُ ثبَّت قوانين الرهبنة الانطونيَّة (١ وحبس عليها اوقافاً كافية لمعاش رهبانها . ومنها ايضاً انهُ ارسل كهنةً الى جهات الارمن لينشروا فيها الايمان الكاثوليكيَّ فلم تخب آمالهُ ونال قطيعهُ عدداً وفضلاً

ولمَّا انتهى في سنة ١٧٥٢ بناء دير بزمَّار انتقل اليهِ وسكنهُ ودعاهُ باسم السيدة

---

١) قرأنا في تاريخ الرهبنة الانطونيَّة للقس عمانويل البغداني (ص ٢١ و ٢٢) انَّ هذه الرهبنة تأسَّست سنة ١٧١٦ بواسطة اربعة انفار قدموا من مدينة حلب سنة ١٧٠٧ حبّاً بالعيشة النسكيَّة واساؤهم يعقوب وميناس ويوحنَّا وابراهيم . وترهَّب اثنان منهما اي يوحنا وابرهيم في دير قزحيا امَّا الآخران فاظهرا قصدهما للشيخ صخر الخازن ابن ابي قانصوه فاعطاهما محلّ دير الكريم . اه . قلنا ومن هذه الرهبنة الانطونيَّة كان البطريركان بطرس الثالث وبطرس الرابع

الطاهرة لعظم عبادتهِ للبتول والدة الاله واخذ معهُ صورة سيدة الاحزان العجائبيَّة التي اتى بها سلفهُ من رومة وجعلها في مصلاَّهُ ولم تكن وقتئذٍ بُنيت الكنيسة الحاليَّة

وقام بتدبير الكنيسة الارمنيَّة بعد يعقوب بطرس الثاني البطريركُ ميخائيل بطرس الثالث في ٢٣ حزيران سنة ١٧٥٣ وكان سابقًا مطرانًا على حلب كسلفهِ ابراهيم ويعقوب. ثبَّتهُ البابا بنديكتوس الرابع عشر في ٦ آذار ١٧٥٤. وفي ايامهِ زاد عدد الارمن الكاثوليك في جهات ما بين النهرين وفي طوقات وبركنيك فقلَّدهُ الباباوان اكليميس الثالث عشر (سنة ١٧٦٠) واكليميس الرابع عشر (سنة ١٧٦٩) تدبير شؤون هذه الكنائس الجديدة. وكان اليسوعيون في ذلك العهد لم يألوا جهدهم في نشر العقائد الكاثوليكيَّة في بلاد الارمن وممَّا كتبهُ الكافاليار دي سان پرست (Le Chev. de St Priest) في اواخر سنة ١٧٧٣ في حقّهم « انهم أقنعوا بطريرك احبيازين بان يجحد الاضاليل اليعقوبيَّة وانَّ ستَّةً من الاساقفة مع عشرة آلاف عائلة ارمنيَّة اقتفوا بآثار راعيهم (١ لكنَّ كثيرًا منهم لم يثبتوا بعد إلغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة

وسافر البطريرك ميخائيل الى رومة لزيارة الاعتاب الرسوليَّة فاحسن الحبر الروماني وفادتهُ ومنحهُ درع الرئاسة. وعند رجوعهِ الى لبنان اخذ في بناء كنيسة بزمَّار فساعدهُ الله على اتمامها وهي من اجمل كنائس تلك النواحي وزيَّنها بالتصاوير المتقنة الصُّنع وذخائر الشهداء والقديسين (٢ وجعل في هذه الكنيسة الصورة العجائبيَّة السابق ذكرها. وضعها فوق الكرسي الرسولي البطريركي الذي كان يجلس عليهِ من عن يمين الهيكل الكبير متَّجهة نحو الشعب. وكانت وفاة ميخائيل في ٥ تشرين الثاني سنة ١٧٨٠

٥

وفي غرَّة كانون الاوَّل سنة ١٧٨٠ وقع الاختيار القانوني على اسقف آدنة (٣

---

١) راجع Chrétineau-Joly : *Clément XIII et Clément XIV*, I, 297 et 298

٢) وكان من جملة هذه الذخائر الثمينة والتصاوير التقويَّة تمثال من العاج يمثّل سيّدة الحبل بلا دنس كان يُعدّ من الاعمال الصناعيَّة الدقيقة اهداهُ البابا بنديكتوس الرابع عشر الى البطريرك ابراهيم. ومنها ذخيرة عود الصليب وذخائر اخرى للرسل الاطهار والشهداء كلها مصونة الى اليوم في كنيسة بزمَّار. وعلى جانبي الهيكل الكبير صورتان اخريان نال المؤمنون بالالتجاء اليهما كرامات عديدة لا يسعنا هنا ذكرها

٣) كذا ورد في تاريخ الدرّ المنظوم (ص ٧١٠). وفي تاريخ بطاركة الارمن لحضرة الاب ڤرنيه اليسوعي (ص ٣٠٥) انهُ كان اسقفًا على اماسية

باسيليوس بطرس الرابع وثبَّتهُ بيوس السادس في ٢٢ حزيران سنة ١٧٨١. وقد امتاز المذكور بحسن سياستهِ ولهُ إصلاحات مفيدة وقوانين مفعمة بروح الحكمة

ولمَّا تُوفي باسيليوس المذكور في ٦ شباط سنة ١٧٨٨ خلفهُ في ١١ ايَّار من السنة عينها غريغوريوس بطرس الخامس مطران آدنة ووردت اليهِ براءة التثبيت في ١٠ ك ١ منها وجَّهها اليهِ البابا بيوس السادس. وجلس على الكرسي البطريركي الى وفاتهِ في ١٧ حزيران ١٨١٢. ولهذا الحبر الجليل اعمال خطيرة كان باشرها منذ زمن اسقفيَّتهِ فانَّ رؤساء الكنيسة كانوا عهدوا اليهِ بامور مهمَّة قام بها احسن قيام في جهات الارمن ولمَّا صار اليهِ تدبير طائفته العام حاول باعلاء شؤونها وتوسيع نطاقها. ولم يجد لتحقيق آمالهِ هذه واسطةً افضل من انشاء مدرسة اكليريكيَّة في دير بزمَّار فوسَّع لذلك ابنيتهُ القديمة وجمع من انحاء المملكة العثمانيَّة شبَّانًا من ذوي التقى والعقل الثاقب فهذَّبهم كما يليق بالكهنة الافاضل وجعلهم على هيئة اخويَّة لتبشير الايمان بين اخوتهم المنفصلين وهكذا أُنشئت جمعيَّة بزمَّار التي خدمت ولا تزال تخدم طائفة الارمن خدمةً نصوحًا منذ نحو مئة سنة جازاها الله خيرًا وزاد اعضاءها فضيلةً وفضلًا

وكان هذا البطريرك كثير التعبد لوالدة الاله يقضي امام صورتها العجائبيَّة ساعات من نهارهِ في الصلاة فجازتهُ البتول عن صنعهِ بآيةٍ عجيبة ظهرت في اوائل سنة ١٨٠٢.(١) وذلك انَّ دير بزمَّار لموقعهِ على قنَّة الجبل كثيرًا ما يكون عرضةً للرعود والصواعق ففي احدى ليالي شهر شباط ثارت زوبعة هائلة واخذت السماء تبرق وترعد فدوت الجبال لصوتها. ثمَّ انقضَّت الصاعقة بغتةً على قبَّة الكنيسة فهدمتها وسُمع لسقوطها ضوضاء عظيمة حتى لم يشك احدٌ ان البيعة كلها خربت تمامًا. فلمَّا كان الصبح وجاء البطريرك والكهنة ليتبيَّنوا الامر وجدوا القبَّة ساقطةً امَّا الكرسي البطريركيّ الذي كان تحتها فانهُ لم يُصب باذًى وكانت صورة العذراء لم تزلْ منتصبة فوقهُ لم تتشوَّه مطلقًا بأنقاض القبَّة وحجارتها الضخمة: فطفحت قلوبهم سرورًا لدى هذا المنظر وتيقَّنوا ان ملكة السماء تصونهم بمجاها غير المنتهك. ومنذ ذاك الحين دُعيت صورة بزمَّار باسمها الشائع الى يومنا وهو سيِّدة الصاعقة. ثمَّ بُنيت قبَّة أُخرى موقَّتة من الخشب ونُقلت

١) راجع الكتاب الخطي المعنون « معابد العذراء في لبنان » للاب بطرس مرتين اليسوعي

الصورة العجائبيَّة بحفلة عظيمة الى مقام الوفاهة (sacristie) واُقيم لها هيكل بديع

وفي السنة التالية (١٨٠٣) ظهرت شفاعة سيدة الصاعقة على نوع اعجب وابهر فبينا كان غبطة البطريرك ولفيف الكهنة مع زمرة التلامذة مجتمعين كلهم في الكنيسة لتلاوة الفرض القانوني اذ اكفهرَّت السماء ولمعت بالبروق وقصفت الرعود وانهملت الامطار كالقرب واذا بالصاعقة انقضَّت ثانيةً على القبَّة الخشبيَّة الموقَّتة فتكسَّرت الاخشاب وسقطت بجلبة لا توصف. امَّا الحضور فطارت قلوبهم شعاعًا وظنُّوا انهم مائتون او مصعوقون لا محالة. فيا للعجب العجاب لم ينل احدًا منهم ادنى ضرر. وكان احد الكهنة المدعو توما يقرّب الذبيحة الالهية على مذبح القديس يوسف فرأى الخُشب متساقطة على رأسهِ ولم يسمح لهُ الوقت الّا ان يرفع بنظرهِ الى احدى صور العذراء ملتجئًا الى حمايتها فنظر البتول تمدّ ذراعيها اليه لتحميهُ فنجا من هذا الخطر العظيم ولم تمسهُ الاخشاب البتَّة. لكنَّ الانقاض تحوَّلت الى شمال الهيكل الكبير وسقطت هنالك. وكان اسقف دمشق اسطفان كبه يقدّس كلَّ يوم في مثل تلك الساعة على المذبح الشمالي الّا انهُ في ذلك النهار دعتهُ حاجة ماسَّة الى تأخير الذبيحة ولولا ذلك لاهلكتهُ الاخشاب المتناقضة. فانتشر ذكر هذه العجائب في لبنان وصار الشعب يلتجئ في الصاعقة الى سيّدة بزمّار واقام البطريرك عيدًا خصوصيًا لذكر الصورة العجائبيَّة في اليوم الثاني من شباط فاخذ اهل تلك النواحي يتواردون مذ ذاك الى كنيسة سيّدة الصاعقة ويكرمونها باحتفال عظيم (انظر صورتها) . وللعذراء هنالك كرامات يضيق المكان عن ذكرها

وتولّى الامر بعد غريغوريوس الاوَّل خلفهُ مطران مرعش غريغوريوس الثاني بطرس السادس رُقّي الى رتبة البطاركة في ٢٣ حزيران ١٨١٢ ولم يأتهِ التثبيت من البابا بيوس السابع الّا في ١٩ ايلول ١٨١٤ لما اصاب الكرسي الرسولي في ذلك العهد من المحن المديدة التي شغلت الاحبار الرومانيين عن تدبير الكنائس البعيدة. وطالت مدَّة هذا البطريرك الى ٢٢ ايلول سنة ١٨٤٠ (١

وغريغوريوس المذكور من اجلّ بطاركة الارمن واعظمهم فضلًا واوسعهم علمًا وارسخهم قدمًا بالفضيلة لا يزال يتذكَّرهُ بالحسنى كلّ من عرفهُ. وفي ايّامهِ توالت المحن

١) هذه التواريخ اخذناها عن اصدق المصادر. وفي مختصر تواريخ الارمن (ص ٣٣٣) ما يخالف ذلك مخالفةً عظيمة ولا نعلم على ايّ شواهد يستند صاحبهُ حضرة القسّ انطون خانجي

على طائفة الارمن الكاثوليك فاكرهَ اعداؤهم ثلاثين الفاً منهم على مهاجرة بلادهم. فتبدَّدوا في كلّ الانحاء. لكنَّ الله لم يهملهم في البلاء. وكانوا في المنفى كحبَّة الزرع تدفعها العواصف الى البعيد لتأتي بغلَّة اوفر. وفي ٦ كانون الثاني من سنة ١٨٣٠ كنَّت الدولة العليَّة يد المفترين بخط شريف ثم اولت الارمن الكاثوليك كلَّ الحقوق الدينيَّة التي كان استبدَّ بها اخصامهم الغريغوريون. فكان ذلك داعياً لرجوع كثيرين منهم الى حجر الكنيسة.

وفي سنة ١٨٣١ عيَّن البابا نائباً بطريركيًا للارمن في الاستانة العليَّة السيد انطون نوريديان ودعاهُ جاثليقاً ووكل اليه تدبير الكاثوليك في الاستانة وجهات الارمن. وكان الجاثليق تحت حكم الحبر الروماني رأساً

وقد رأى غريغوريوس الثاني من ألطاف البتول العذراء شواهد جديدة زادتهُ ثقةً بها. فمن ذلك انهُ حدث في لبنان زلزلة قويَّة في سنة ١٨٣٦ فخرج كلّ تلامذة دير بزمّار والكهنة مذعورين لمَّا شعروا باهتزاز الجدران وتداعيها وكانوا يخافون من سقوط الابنية كلها. امَّا البطريرك فتكرَّ من ساعتهِ في شفاعة البتول ودخل الكنيسة وانطرح عند اقدام الصورة العجائبيَّة وتلا بكلّ حرارة الصلاة المعروفة « السلام عليكِ يا ملكة الرحمة » فما انتهى من تلاوتها حتى بطل الزلزال وعادت السكينة في القلوب (١). وامر غبطة البطريرك بان يُوقد امام الصورة ليلًا مع نهار قنديل زيت شكرًا لنعم البتول واستدرارًا لبركاتها. واراد في ساعة نزاعهِ ان توضع الصورة بازاء عينيهِ

ولمَّا توفي غريغوريوس اجتمع الاساقفة في دير بزمار وانتخبوا في ٣٠ حزيران سنة ١٨٤١ يعقوب الثاني الوكيل البطريركي ومطران اماسية فدعي بطرس السابع وثبَّتهُ غريغوريوس السادس عشر في ٢٧ ك ٢ سنة ١٨٤٢ وكان رجلًا فاضلًا بيد انَّهُ طاعن في السنّ فتوفي لسنتين من بطريركيَّتهِ في ٦ شباط ١٨٤٣ . قال البطريرك العلامة بولس مسعد في الدرّ المنظوم (ص ١٠٧) : ان يعقوب هو اوَّل من استعمل الصليب الصدريّ عند الارمن

وخلفهُ مطران قيساريَّة غريغوريوس الثالث في ٧ تموز ١٨٤٣ وعُرف ببطرس الثامن ثبَّتهُ غريغوريوس السادس عشر في ٢٣ كانون الاوَّل من السنة. فرعى الكنيسة الارمنيَّة

(١) راجع S. Davidian : *Biografia di Abramo Pietro I*, p. 133

بكل دراية وكلّ تقىً الى سنة وفاته ٨ ك ٢ سنة ١٨٦٦ .ومن مساعيه المشكورة انهُ عقد مجمعاً لطائفته سنة ١٨٥١ واهتمّ في بناء مدرسة بزمّار ونجاحها ونظّم جمعية كهنتها على الهيئة التي نعهدها اليوم وقد نال هؤلاء الكهنة شهرة كبيرة بغيرتهم وتقاهم . وارسل بعض التلامذة الى مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير ليتخرّجوا بالدروس اللغويّة والادبيّة واللاهوتيّة اشتهر منهم في خدمة كنيستهم ثلاثة اساقفة وكهنة افاضل

٦

وبعد وفاة البطريرك المذكور اجتمع المطارنة في كنيسة دير بزمّار في ١٤ ايلول سنة ١٨٦٦ تحت رئاسة الطيّب الذكر القاصد الرسوليّ والبطريرك الاورشليمي السيد يوسف ڤالركا فانتخبوا السيد انطون حسّون جاثليق القسطنطينيّة بطريركاً . فثبّتهُ البابا بيوس التاسع بملء سلطانهِ وجمع جاثليقيّة الاستانة وحقوق البطريركية في شخصهِ وأذن لهُ ان يسكن في دار السعادة بدلاً من دير بزمّار وذلك بموجب براءة حبريّة بدؤها « Reversurus » امضاها في رومة العظمى جميع مطارنة الطائفة سنة ١٨٦٧ ومنحتهُ الدولة العليّة فرمانها الشريف . غير انَّ بعض اصحاب الفتن لم يرضوا بانتخابهِ وخلعوا نير الطاعة وجاهروا بالشقاق وغصبوا الكاثوليك الامناء حقوقهم في كنائسهم . وانضمّ الى هؤلاء الخوارج بعض المطارنة والكهنة القانونيين وغيرهم فاستفحل الامر وانتشر الشغب مدَّة بضع سنوات حتى خمدت نارهُ وكبا سعيرهُ في هذه السنين الاخيرة ولم يبقَ لهُ والحمد لله من اثر في ايامنا

ولمّا كانت السنة ١٨٨٠ اراد البابا لاون الثالث عشر المالك سعيداً ان يتعطّف على الطائفة الارمنيّة بنعمة لم يُسبق لهُ مثيل في الشرق منذ اربعة قرون فرقّى السيد البطريرك انطون حسّون الى المنصب الكردينالي . فتنازل غبطتهُ عن حقوق البطريركيّة في ٣ ك١ ١٨٨٠ وجاء رومة فقطنها مع امراء الكنيسة الرومانيّة . وفي السنة التابعة انتخب الاساقفة كخلف لهُ في رتبتهِ السيد اسطفان عازاريان فدُعي بطرس العاشر (٤ آب ١٨٨١) وساس بيعتهُ احسن سياسة وحظي عند مولانا السلطان فنالهُ الامتيازات السامية وكان الحبر الروماني يكرمهُ ويعتبر صفاتهِ الفريدة . توفّي رحمهُ الله واجزل ثوابهُ في ٢ ايار سنة ١٨٩٩ . وقد ضمّد تعالى جرح الكنيسة الارمنيّة ونشّف دموعها السائلة على فقيد الطائفة والوطن بانتخاب غبطة السيد عمّانوئيليان وهو بطرس الحادي عشر .

ولد غبطتهُ في ١٨ ك ٢ سنة ١٨٢٩ في بلدة تل ارمن بجوار ماردين من أسرة فاضلة تعدّ الايمان من افضل كنوزها وتخرّج بالعلوم والآداب الكنسيَّة في مدرسة بزمّار وانجز دروسهُ في مدرسة رومة المشهورة بانتشار الايمان وحاز شهادة الملفنة في الفلسفة واللاهوت. ولهُ تصانيف جليلة دينيَّة وطقسيَّة وأدبيَّة في كلتا اللغتين الارمنيَّة والتركيَّة. ثمَّ تفرَّغ لكل الاعمال الرسوليَّة حتى سُقِف على قيصريَّة قبادوق في ٢٥ آب سنة ١٨٨١ وقد اشتهر مدة اسقفيَّته بحكمته السامية ومداركه العالية واعماله المبرورة فاكتسب رضى الجميع وذلك ما حمل اخوتهُ المطارنة على ان يسلّموهُ زمام امر كنيستهم في ١٦ آب سنة ١٨٩٩ وقلّدهُ امام الاحبار درع الرئاسة في ١٤ ك ١ من السنة حفظهُ الله زمناً طويلاً لخير طائفته وفخر اوطاننا العزيزة

والارمن الكاثوليك الخاضعون لبطاركة قيليقية ينيفون اليوم على مئة الف واكثرهم في ولايات الدولة العليَّة لهم فيها اربعة رؤساء اساقفة كراسيهم في القسطنطينيَّة (وهو كرسي نائب البطريرك) وحلب وديار بكر وماردين وثلاثة عشر اسقفاً يقطنون آدنة وانقرة وبروسة وقيساريَّة قبادوقية وارزروم ومرعش وموش وسيواس وطوقات وطرابزون وخربوط وملطية والاسكندريَّة . وللارمن الكاثوليك ايضاً مطران في اصبهان من عواصم العجم ولهم ايضاً اسقف في بلاد روسية في مدينة ارتوين

وفي بلاد النمسة اسقف للارمن تحت حكمهِ نحو سبعة آلاف ارمني كاثوليكي وهو يسكن فينَّة في دير الآباء الميكاتاريين وليس لبطريرك قيليقية عليهِ امرٌ كما ان سلطة غبطتهِ لا تمتدّ الى ٢٤٠٠٠ الف ارمني كاثوليكي توطّنوا مقاطعة تيراسپول (Tiraspol) في الروسيَّة

وللارمن الكاثوليك مطبعتان شهيرتان في البندقيَّة وفينَّة ابرزتا كتباً عديدة دينيَّة وعلميَّة وكلتاهما تحت ادارة الآباء الميكاتاريين ولهؤلاء الرهبان فضلٌ عظيم في نشر لواء الاداب والعلوم الارمنيَّة. وقد اسعدنا الحظّ بان نجتمع ببعض هؤلاء الافاضل العلماء وزرنا في فينَّة مطبعتهم الكبرى فرأيناها كاملة الاهبة تامَّة الادوات لا ينقصها شيء من الاكتشافات الحديثة حتى صار اسمها شائعاً في كلّ البلاد وفيها مسكب حروف مختلفة هي غاية في الجودة والكمال ومنها ابتاعت مطبعتنا حروفها الارمنيَّة

وممَّا يزيد الارمن الكاثوليك فرحاً انهم يجدون في اخوانهم المنفصلين تقرُّباً الى

الايمان المستقيم ففي السنين الاخيرة اخذ الغريغوريون يوجّهون انظارهم الى كنيسة رومة التي من موردها استقى القديس غريغوريوس المنوّر مياه الايمان العذبة واليها اسند اساس الكنيسة الارمنيَّة. ولتحقيق آمالنا هذه نوائح عديدة نطلب الى الله ألّا تحبط وتخيب. لاسيا اننا نرى عددًا غفيرًا من افاضل الاكليروس الارمني يسعون بلا ملل وراء هذه الغـاية الحميدة يساعدهم على ذلك كثيرون من المرسلين اللاتينيين كحضرات الآباء الدومينيكان في وان وسعرت وحضرات الآباء الكبوشيين في طرابزون وارزروم وصمصون وملطية وخربوط واورفة وحضرات الآباء الفرنسيين في عينتاب ومرعش وبني قلعة والآباء اليسوعيين في آدنة واماسية وقيسريَّة ومرسيفان وسيواس وطوقـات واخوة المدارس المسيحية في انقرة وارزروم وطرابزون هذا الى مئين من الراهبـات يبذلنَ الوسع في تهذيب الفتيات ومبـاشرة الاعمال الخيرية. فيا ليتنا نرى عمَّا قليل الارمن جميعًا (١ متحدين بوحدة الايمان كاجدادهم فتكون لهم كاخوانهم الكاثوليك حظيرة واحدة وراعٍ واحد آمين

قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب س. رنزفال اليسوعي (تابع لما في العدد الاول(٢)

كتابات تدمريَّة

– توطئة – هذه الكتابات وغيرها التي سننشرها تباعًا في اعداد مجلّتنا موجودة كلها في مدينة حمص وقد اخذ رسومها الطبيعيَّة حضرة الاب لامنس اليسوعي عن تماثيل ضريحية منقولة من تدمر او جوارها ومجهولة الى هذه الغاية وهي اليوم محفوظة في بيوت بعض اعيان البلدة. والرسوم المومأ اليها غاية في الاحكام حتى انَّنا اكتفينا لتصويرها الشمسي بمجرَّد تسويد جوف الاحرف. ولا حاجة هنا الى تكرار ما قد ابديناهُ من اسداء الشكر والتهنئة الى اصحاب هذه الآثار

ومن خواصّ هذه الكتابات انَّها غير مؤرخة وقصيرة المضمون لا ترى فيها سوى اسماء اعلام وذكر انساب شأن معظم الكتابات القبريَّة المكتشفة في بلاد تدمر. وهي مع ذلك ليست خالية من الفائدة بل لعلّها تتضمَّن بعض اسماء جديدة كما سترى. وانَّما قلنا « لعلَّ » لانَّنا لا نملك كل

---

١) عدد الارمن الغريغوريين يبلغ نحو ثلاثة آلاف الف. منهم في الدولة العثمانية نحو ١٧٣٦٠٠٠

٢) احِلنا الى عدد آخر استئناف قراءة الكتابات العربيَّة

المجموعات التدمريَّة التي نشرها علماء اوربَّة فلذا نلتمس من قرائنا الاوربيين؟ غضَّ النظر عمَّا يجدون في هذه النبذة من القصور او الخطإ. فجلّ ما نتمنى من اشهارها بيان ما لدينا من النيرة في صيانة كلّ ما يختص بآثار المشرق القديمة وترغيب مواطنينا الافاضل الى ولوج هذه الابواب الادبيَّة الفائقة الشان في معرفة احوال بلادنا العزيزة. ولنفس هذه الغاية قد ادرجنا في مجلّتنا (سنة ١) مقالة مطوَّلة في اخبار زينب (الزبَّاء) ملكة تدمر وفيها ايضاً رسمنا جدولاً لبعض خطوط قديمة منها الخطّ التدمري(١ فالمرجو من قرائنا الشرقيين ان يراجعوا هذا الجدول اذا ما ارادوا فهم الاسطر التالية

الفرقة الآراميَّة	الفرقة الكنعانية	الفرقة العربيَّة	الفرقة الآراميَّة	الفرقة الكنعانيَّة	الفرقة العربيَّة
ܐ	א	ا	ܡ	ם	م
ܒ	ב	ب	ܢ	נ	ن
ܓ	ג	ج	ܣ	ס	(حميري) X [س]
ܕ (٢)	ד	د	ܥ	ע̇	ع
ܕ̇	ז	ذ	ܥ̇	ע	غ
ܗ	ה	ه	ܦ	פ	ف
ܘ	ו	و	ܨ	צ	ص
ܙ	ז	ز	ܨ̇ (٤)	צ	ض
ܚ	ח	ح	ܩ	ק	ق
ܚ̇	ח	خ	ܪ	ר	ر
ܛ	ט	ط	ܫ (٥)	שׁ	(حميري) ش
ܛ̇ (٣)	צ̇	ظ	ܫ	שׂ	(حميري) ⊓ س
ܝ	י	ي	ܬ	ת	ت
ܟ	כ	ك	ܬ̇ (٦)	ת̇	ث
ܠ	ל	ل			

ولمزيد الايضاح رأينا من اللائق بل من الضروري (٧ ان نضع هنا الجدول المتقدّم لمقابلة الاحرف الشرقيَّة في اصول ثلاث فِرَق من اللغات السامية المشهورة. واعلم ان الفرقة الاولى وقد

١) قد طُبعت هذه المقالة منفردة مع الجدول المذكور وعدَّة صور وخريطة جيّدة وفوائد جديدة وبعض تحسينات واصلاحات. والكراسة تُباع في مطبعتنا

٢) ܕ و ا في اقدم الكتابات ٣) ܛ و ܛ في الكتابات القديمة

٤) ان نسبة ض الى צ والى ܨ اكثر شيوعاً من نسبتها الى צ والى ܠ (و ܨ) الواردة في بعض الكتابات ٥) و ܫ في كتابات قديمة

٦) و ܫ في بعض الكتابات القديمة

٧) ليس في قولنا «من الضروري» ادنى مبالغة فان علم مقابلة اللغات الساميَّة في هذه الديار امر لم ينتبه اليه سوى القليلين من العلماء الذين لا تفوق جملتهم عدد الانامل

سيناها العربية تشمل عربية الكتابات القديمة والعربية المعهودة والحميريَّة الخ. والفرقة الثانية اي الكنعانيَّة متركّبة من كنعانيَّة كتابات تل العارنة والفونيقية والعبرانيَّة ولغة موآب. والفرقة الثالثة وهي الآراميَّة تعمّ عدَّة لغات شاعت في الشام والجزيرة والعراق اشهرها السريانيَّة والارامية البابلية والمندائيَّة الخ ثم آراميَّة الكتب المقدَّسة والتدمريَّة ولهجة الكتابات النبطيَّة واللسان الفلسطيني والسامريَّة الخ

ولهذا الجدول الذي سنشير اليهِ اكثر من مرَّة فائدة عظيمة لمعرفة مطابقة الاحرف في صور الكلمات. فمن حفظهُ جيدًا يسهل عليهِ عادةً ردّ الالفاظ التي يعثر عليها في الكتابات الى اي لغة اراد من الفروع الثلاثة المنوَّه اليها. ولولا ضيق المكان لاتينا على ذلك ببعض الشواهد. إلَّا اننا استثنينا عنها بما نعرضهُ من الشروح في هذه النبذة وما سيجيءُ في غيرها ان شاء الله

وان امعنتَ النظر في الجدولين وقابلتَ بينهما ادركتَ دون صعوبة السبب الذي من اجلهِ اعتاد المستشرقون استعمال الاحرف العبرانيَّة لتدوين الكتابات التدمريَّة وغيرها. ولا بدَّ لنا من احتذاء حذوهم. غير اننا لمزيد الافادة ندوّن ايضاً كتاباتنا بالاحرف العربية مضيفين اليها صورتها الافرنسيَّة او السريانية كلما عثرنا على حركة لا وجود لها في العربية المكتوبة

الكتابة الاولى

(عن تمثال امرأةٍ موجود في بيت الدكتور س.خ. وعلى الكتابة أثر لون ضارب الى الاحمر)

עתי	عَتّيْ او عَتَّيْ (١ (او عَتِي)
ברת	بَرْت
מעני	معَنَّيْ
חבל	حَبَل

ليس في هذه الكتابة من كلمة جديدة. فانَّ «עתי» علَم مونث قد اتى في مجموع المركيز دي ڤوكويه (de Vogüé: *Syr. Centr. Inscriptions sémitiques*, n°45)(٢ قابل «Ἀταργάτις» و «ܥܬܐ وعتي». وهذا الاخير اسم احد الرواة وهو وارد في كتاب المعارف لابن قتيبة (طبعة القاهرة ص ٧). وبَرْت اي ابنة عين كلمة ܒܪܬܐ السريانيَّة. واسم معنَّي كثير الورود في كتابات تدمر وهو علَم مذكَّر يطابقهُ تماماً ܡܥܢܐ السرياني. وصورتهُ غير صورة مَعْن العلَم العربي المعروف والموجود ايضاً في عدَّة كتابات نبطيَّة (٣

١) راجع الجدول المتقدّم ولا تنسَ ان لغة اهل تدمر من الفرع الآرامي

٢) اشارتنا الى هذا التأليف تكون كما في مقالتنا على الرباه بمجرَّد حرف V وكذلك ندلّ بحرف W على مجموع ڤادنكتون Waddington : *Inscript. grec. et lat. de la Syrie*

٣) توافق صورة مَعن العربية اسم ܡܥܢ السرياني والنبطي. قابل ايضاً مَعْنُ الله و ܡܥܢ

وامَّا الكلمة الاخيرة فقلَّما تخلو منها كتابة تدمريّة من الكتابات المختصة بذكر الاموات وهي للندبة ومعناها آه (φεῦ = hélas!)

الـكتابة الثانية

(عن تمثال امرأةٍ في يدها زهرةٌ ووراءها ولد. في البيت نفسهِ)

?בר כרת	سِبِّي بنت
ירחי בר	يَرحي بَر (اي ابن = ܒܪ)
זגוג חבל	زجوج خَبَل

اول حرف الكتابة لم يأتِ بكاملهِ في رسم الطبع. على ان بعض آثارهِ باقية وهي تشبه اللام او النون التدمريَّتين. فان كانت نونًا فالعلَم معروف من كتابة اشهرها العلامة حضرة الاب شابو (Chabot) (١ وهو נבי اي نَبِيّ او نَبْـ (Nabhai) بتركيخ الباء. ولعلَّ اصلهُ نبأَ يَنبأُ

ירחי عَلَم مذكَّر وارد في عدَّة كتابات (طالع V : n^{os} 16, 90, 91, pp. 68-9 الخ) وصورتهُ اليونانيَّة Ἰαραῖος واصلهُ ירח (القمر). قابل في السريانيَّة اسم ܝܪܚܐ الذي معناهُ الشهر (القمريّ). وقد مرَّ بنا في مقالتنا على الزبَّاء ان التدمريين كانوا يعبدون آلهةً عديدةً من اعظمها الشمس والقمر

امَّا علَم זגוג فلم نعثر على ذكرهِ في الكتب التي بين ايدينا. والمرجَّح انهُ ظاهر هنا لاوَّل مرَّة. لكنَّ معناهُ يعسر الاستدلال عليهِ. فان كان وزنهُ «فَعُّول» بتشديد العين على ما نظنّ (٢. فلعلَّهُ مشتقّ من اصل ܙܓ الآرامي بمعنى صرخ او طنَّ فيكون

---

١) ܢܒܝ (طالع C I S [Corpus Inscript. Semiticarum] II n^{os} 118, 249, 252, etc.). والبرهان على وجوب تشديد النون في «معني» صور هذا العلم في اليونانية وهي اربع اي Μαννα̃ιος , Μαεναι̃ος , Με(ν)ναι̃ος , Μαενα̃ς. قيل انهُ مشتق من ענה بمعنى اجاب الى دعاء J. A. 1897², p. 136

٢) انَّ الاعلام على وزن فَعُّول (ܦܩܘܠ) وان كانت نادرة الوجود في عاديَّات تدمر التي اتَّصلت الينا فهي مع ذلك واردة في بعضها (راجع Sachau : ثمَّ V : n^{os} 15, 127, 128 Mordtmann : *Neue Beitr. z. Kund. Palmyr.* 1875. p. و ZDMG, 1881. p. 743 18-20 في اسم נשום [Νασσούμ(ου)] و נצור [Νασσώρ(ου)] او Νασώρ(ου) على وزن

معناهُ الصراخ او ما يشبه ذلك. وان فضَّل احدٌ اشتقاق زجوج من زَجَّ يَزُجُّ بمعنى طعنهُ بالزُجّ (والزُجّ لهُ معانٍ منها نَصل السهم) فلعلَّ ذلك غير بعيد عن الصواب لشهرة التدمريين في رَمي السهام كما اوردناهُ في اخبار ملكة تدمر. طالع ايضاً Fraenkel : *Die aramäisch. Fremdw. in Arab.* في مادَّة « الزجاج »

الكتابة الثالثة

(عن تمثال عجوز. عند الخواجا س. ش)

אמתא	أمتا
ברת	بنت
והבלת	وَهبلّات

من خواصّ هذه الكتابة شكل احرفها الغريب لاسيما الالف في بدء السطر الاول والواو واللام في الثالث. وليس فيها اسم جديد فان أمتا علَم موَنث وارد في بعض الكتابات (راجع V. n^os 53, 45 وغيره) ومعناهُ أَمَةٌ (אמה = ܐܡܬܐ). واماً وَهبلّات اي هِبة اللات او الالهة فكثير الورود في العاديّات التدمريّة وغيرها ولا حاجة الى الاتيان بشاهدٍ عليهِ. (قابل ܡܘܗܒ ܠܐܠܗܐ و ܡܘܗܒ وعطاء الله = Adeodatus)

الكتابة الرابعة

(عن تمثال شابٍ على كتفهِ الحُلّة الرومانية (toge). عند الدكتور س. خ)

יר(?)יעבל בר	يَر(؟)يعبَل بن
מזבכא	مزّبّكا
ברוקא	(بن) بارُوقا (؟) — ܒܪܘܩܐ
הבל	خبل

نظن ان في هذه الكتابة اسمين جديدين اعني بهما الثاني والثالث. اماً الاول فمعروف وانما وضعنا علامة الشكّ على الريش (٦) لان هذا الحرف يُشبه كثيراً الدالَت

فاعول (ܡܥܢܐ). قابل ايضاً شكُّوم (JA. 1898², p. 102) و הדודן ('Αδδουδάνης = حدُّودان: V. n° 96 و Sachau, *ibid.*, p. 742 و הגוהיא حجُّوها (Jaussen : *Revue biblique*, 1897, p. 555) وغيرها

(٦) في الخطّ التدمري. ولا يفرق بينهما عادةً الّا نقطة تُرسم احيانًا على الريش. وفي كتابتنا هذه نقطة فوق ٦ لفظة بَرْ (بن). على ان ذلك لا يكفي للجزم بان الحرف الثاني في السطر الاول هو ٦ لا ٦ لانّ ريش السطر الثالث غُفلٌ منهُ ولا شبهة في قراءتها. بيد ان القراءة تصحُّ على الوجهين (١ فان قرأتَ يَدِيعْبَل ('Ιεδειβαλος) فمعناهُ: «الذي يعرفهُ (ܡܒܪܝܗ) الالهُ بَعَل» (ܒܥܠܐ = ܒܘܠ = Bol الخ) (٢. امّا معنى «يَريعبل» فمُبهم مع ورودهِ في بعض الكتابات. قال المركيز دي ڤوكويه (V.p.20) ان معناهُ Bel sectatus est اي «ادرك بعل» ولكن لا ندري على اي سند بنى مزعمهُ

قلنا ان العَلَم الثاني جديد وزد على ذلك انهُ غريب للغاية. فان مادّة «ز ب ك» عديمة الوجود في المعجمات الآراميَّة والعبرانية والعربيَّة التي في ايدينا. وانّما ضبطناهُ «مَزبكا» (٣ لشبههِ باسم علَم آخر مذكَّر وهو Μεζαββανας (٤ الذي صورتهُ الارامية ܡܙܒܢܐ بتشديد البيت وتفشيتهِ ومعناهُ «المَبيع او البائع» وهو اسم يليق بقوم تجار كالتدمريين. وقائل يقول ان علَم كتابتنا هو هو ܡܙܒܢܐ. جوابنا على ذلك اننا ايضًا ارتأينا مثل هذا الرأي باديْ البدء غير انّ الرسم الذي في يدنا لا يسمح بذلك ما لم يُنسب الخطأُ لناقش هذه الكتابة وذلك امرٌ مُحتمل فيكون من ثمَّ اسم ܡܙܒܢܐ قد ورد هنا لثاني مرة على صورتهِ الآراميَّة المذكَّرة (٥

---

١) لا نظنّ ان حضرة الاب شابو قد اصاب بقولهِ ان يريعبل غير اكيد ومجهول الى سنة ١٨٩٧. فانّ العلّامة شرودر (Schröder) وهو قنصل المانية العام في بيروت قد برهن بادلَّة حسّيَّة ان هذه الصورة واردة حقًّا في كتابتين نشرهما سنة ١٨٨٥ (ZDMG, p. 354-5, Taf. 4, 9.)

٢) ومثل هذا التركيب شيءٌ كثير في كتابات تدمر. قابل ايضًا בלידע (بَلْيَدَع) اي بَعَل يعرف او يُوَقّي (JA. 1897². p. 332)

٣) لا شكَّ في انَّ هذا العلَم والعلَم الثالث يختمان بحرف א مع شبههِ بحرف ה في الخطّ التدمري. ومن المعلوم ان استعمال الالف في اواخر الكلمات التدمريَّة اكثر شيوعًا من الهاء التي هي بلا مراء مأخوذة عندهم عن العبرانية

٤) الارجح ان توضع حركة هذا العَلَم قبل حرف β كما في Μεζάβανας الوارد في تاريخ زوناراس. فان هذه الصورة مع حذف التشديد فيها شأنَ تصرُّف اليونانيين من السريان ولفظهم اقرب مشابهةً لِوَزن العَلَم الآرامي

٥) طالع Chabot, JA. 1897², p. 317-8 وهو مع ذلك يكتب Mezabana =

واماَ العَلم الثالث اي ברוקא فلعلّهُ جديد ايضاً وفي وجه اشتقاقهِ بعض الصعوبة لاننا لا نعرف يقيناً أهو عَلَم مركَّب من « بر » (ابن) و « وقا » او اسم مشتقٌ من مادَّة « ب ر ق » . على اننا نفضِّل الوجه الثاني لوجود أعلام مذكَّرة متألّفة من « ب ر ق » في التدمريَّة (مثلاً ברק V. n° 76 Βορχαῖος, W. 2016 (١) والعبرانية ברק بَارَاق (سفر القضاة ٤ : ٦ , ٨ الخ — ٥ : ١ , ١٢ الخ) (٢ . ولمعترض ان يقول : لا يجوز هذا الوجه لان لفظة « بن » لازمة في هذا المكان اذ قد ترجمنا الكتابة « يريعبل بن مزبكا (بن) باروقا » . جوابنا ان ذلك ليس ببرهانٍ . ففي اواخر الكتابات التدمريَّة كثيرًا ما ترى اسماء السلَف دون ذكر النسب . وهذه العادة اخذها التدمريُّون عن اليونان الذين يستغنون عن ذكر لفظة υἱοῦ بتصريف العلَم المضاف اليهـا (٣ . ومماَّ يصدّنا عن ردّهِ

Μεζαββάνας ومن غريب الامر ان מזבנא (مَزْبِنا ؟) علَم مؤنَّث ايضاً (راجع V. n° 105 و Simonsen : *Sculpt. et inscript. de Palmyre* (*Rev.* و ZDMG. 1885 p. 353 *Bibl. p.*, 118) . قابل ايضاً מזבדא الذي لا شكَّ في قراءتهِ (Lagrange : *Rev. Bibl.* 1893 p. 117 و « مزبد او مزبل او بزبر » (Mordtmann, p. 50 - 1)

١) ان اصل هذا العَلم نبطي او آرامي لا ريب فيهِ . وهو مرسوم على كتابة موجودة في عُرمان من اعمال حوران

٢) لا نشكُّ في ان لفظ العَلَم التدمري (V. n° 76) هو عين لفظ ܒܪܩ (باراق) الوارد في البسيطة في المواضع المذكورة . ولا يخفى ان التدمريين كغيرهم من الآراميين لم يكونوا يرسمون علامة الفتحة المشبعة او المدّ في بطون الكلمات الّا نادرًا . وهذه الملاحظة جديرة بان تحفظ لتهم كلامنا على هذا الاسم وغيرهِ

٣) ومع ذلك فلا ينكر ان علَماً تابعاً لعَلَم آخر قد يكون لقباً او كنية (طالع V. passim و Chabot, JA. 1897², p. 313) ولا محلّ هنا للقبِ . وان احبَّ احدٌ ان يحسب ברוקא كنيةً فعليهِ ان يفرض لها اصلاً نبطياً اي و ق ق وهو موجود في العربيَّة بلا مراء . فتكون صورة التركيب بر (ابن) وَقّا او وَقّان حسب لفظ النبطيين (قابل اسم ملكه צרן = [illegible] CIS II. n° 156) غير ان كل ذلك يصعب التسليم بهِ لندرة الالقاب او الكنايات في كتابات تدمر وان وُجد شيء منها فتعيينهُ مقيَّد بشروطٍ منها ترجمة الكتابة الى اليونانية او علامة أُخرى معنويَّة تدلّ صريحاً على ان الاسم لقب او كنية لا علَم محض . فنطلب الى علماء الاداديات ان يفحصوا جميع الاسماء التدمريَّة فحصاً دقيقاً ليستخرجوا منهُ قاعدة عموميَّة تساعد على تمييز الأعلام من سواها . وربَّما قد طرق هذا الباب العلّامة ليدران Ledrain في كتابهِ المعنون Dictionnaire des n. pr. palmyr. غير انَّنا لسوء الحظّ لم نقدر حتَّى الآن على مطالعة هذا التأليف الذي لا يزال مفيدًا مع قِدَم عهدهِ

ألى « و ق ا » او « و ق ق » نُدرة الاصول الآرامية المبتدئة بالواو. وزد على ذلك انّ الالف في الالفاظ التدمريّة هي عين الف الاطلاق الآرامية. وما يُزيل اخيرًا هذا الافتراض ان اسم ברוקא ورد في بدء الكتابة التالية وهو هناك علَم شخصي محض

وامّا صورة هذا الاسم فالارجح عندنا انها على وزن ܦܳܥܽܘܠܳܐ (فاعول) الشائع في الآرامية. وان صحّ ذلك فمعنى العلَم يكون « البارق او البريق ». ويجوز ايضًا برُوقًا على وزن ܦܥܽܘܠܳܐ الّا انهُ اقلّ ورودًا من الاول في السريانيّة (طالع حاشيتنا في وزن زجوج)

الكتابة الخامسة ولها قسمان

(عن تمثال شآيين محفوظ عند الخواجا ن. خ رأس البذنين او معلّم السلطان)

ברוקא	بارُوقًا	חביבי בר	حَبيبي بن
בר נסא	بن نَسًا (او نَسا) (١	חביבי	حبيبي
עלבן חבל	(بن) غلبان خبل	נסא חבל	(بن ؟) نَسًا خبل

(القسم الاول) قد مرّ تفسير العلَم الاول. والثاني معروف ولهُ صورتان נסא و נשא (١ (Reckendorf, ZDMG. 1888, p. 93 و V. n° 51 etc.) وغيرها) كما في كتابتنا وفي تأليف العلّامة اوتنك (Euting : *Epigraph. Misc.* 1885. n° 103 و Chabot, JA. 1898², p. 91-2) وهو علَم مذكّر معناهُ بالتقريب « رفع (الله) ». ومثل هذه التراكيب عددٌ وافر في الاسفار الكريمة. وامّا العلَم الثالث ونظنّهُ جديدًا فيمكن ان نحسبهُ لقبًا او علَمًا قُدّرت قبلهُ لفظة « ابن » على ما مرّ ولا نشكّ في ان اصلهُ غ ل ب وهو موجود في الفرع الآرامي كما في العربي (٣ والراجح عندنا ان صورة هذا العلَم نبطيّة اي « غِلبان » على مثال عمران ومَعنان او معنًّا = ܡܥܢܢ (CIS, II, n° 114) وعلان وسِمان (ibid. n° 113) وكَيلان ووأدان (n° 206) (٤

---

١) قابل Νέσας (W. n° 2578) او Νέσης (n° 2589)

٢) ولفظهُ نَشا بالتقريب. راجع الجدول في افتتاح المقالة

٣) لا تَنسَ ان حرف ܥ يمكن ان يناسب حرف غ (راجع الجدول)

٤) قابل بين وأدان و וידא (وَايدًا) علَم مذكّر تدمري Chabot, JA. 1897² p. 316



كتابات تدمرية

وِحنيان (222) وحَيَّان (227) وسِلْمان (294,302) وهذا الاخير وارد في كتابات تدمر ايضاً الخ . وقابل حدُودان المارَّ ذكرهُ و אבי־עלבון (ايعلبون) علَم عربي او نبطي (سفر الملوك الثاني ٢٣ : ٣١) و עלבון في كتابة نبطيَّة (ZDMG, 1860, p. 411)

(القسم الثاني) ليس فيهِ اسم جديد. فان « حبيبي » معروف من بعض كتابات وهو علَم نبطي الاصل (١. واماَّ نساً او نساَ فقد مرَّ ذكرهُ مع شرحهِ

(ستأتي البقيَّة)

---

١) طالع Euting : *Epigr. Misc.* n° 40 . JA., 1898². p. 110, ولفظ هذا العَلَم ليس « حَبيبي » كما ظنَّ البعض بل حَبيبي HABIBI كما ورد في كتابة لاتينية مكتشفة في رومية. وان فكَّرتَ في ورود اسم حبيبي مرَّتين متواليتين في كتابتنا رأيت انهُ لا تطابق تماماً رأي العلَّامة كلرمون غنُّو (Clermont - Ganneau) الواسع المعرفة في عاديَّات الشرقيين. وقد ارتأى في مجموعهِ المشهور (Recueil d'archéol. orient. p. 211, 385) رأياً عرضهُ على سبيل التخمين فقال انَّ الاعلام النبطيَّة المنتهية بالواو وهي عديدة كانت واوها تُلفظ ياء في حالة الجرّ كمُنيوُ في الرَّفع ومُقيمي في الجر على مثال عمرُو وعمرٍو. فكيفما كان واقع الامر عند النبطيين لا نرى صحَّة لهذا الارتياء في ما يختصُّ بلفظ التدمريين للاعلام النبطيَّة

كتاب اللَّبَأ واللَّبن

تأليف ابي زيد سعيد ابن اوس الانصاري

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعيّ

المقدمة

لابي زيد بين اللغويين مرتبةٌ عليا شوّقت ادباء عصرنا الى البحث عن مآثرهِ اللسانيَّة. وهذا ما حدا جناب اللغويّ البارع المعلم سعيد افندي الشرتوني على نشر كتاب نوادر ذلك الامام في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٩٤ عن نسخةٍ وجدها عند القانوني الشهير جرجس افندي صفا فعرف المستشرقون هذه الخدمة الجليلة وقدّروها حقّ قدرها

وقد اطَّلعنا منذ سنتين في المكتبة الخديويَّة على اثر آخر لأبي زيد وهو سفر صغير لا يتجاوز الصفحتين يُدعى «كتاب اللبأ واللبن» وجدناهُ في المجموع (١ الذي نقل عنهُ الدكتور اوغست هفنر كتابين سبق نشرهما في المشرق(١: ٣٤ و ٤٠٦ الخ) وهما كتاب الدارات وكتاب النبات والشجر للامام الاصمعي. والمجموع المذكور يحتوي على عدة فصول لغويَّة جليلة منها كتاب الشاء الذي قام بطبعهِ في ڤيَنَّة الدكتور المذكور وكتاب المُداخل لابي عمر المعروف بغلام ثعلب وكتاب البئر لابن الاعرابي وكتاب الأشربة لابن قتيبة وكتاب المتشابه للامام ابي منصور الثعالبي بيد انَّ الاصل مشوَّه باغلاط عديدة لا بُدَّ لاصلاحها من نسخ اخرى حسنة الضبط. امَّا كتاب اللبأ واللبن الذي نتولَّى اليوم نشرهُ فهو الفصل الرابع من هذه المجموعة (ص ٢٩ — ٣١) وقد راجعناهُ على المعجمات الكبرى لئلَّا تذهب فائدتهُ بما وقع من السهو في النسخة الاصليَّة. سبحان من لم يَشِنْ كمالهُ نقص ولا خلل

---

١) راجع الجزء السابع من فهرست الكتبخانة الخديويَّة ص ٦٥١ المجموعة ١٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

(ص ٢٩) اخبرني الشيخ المهذب ابو الحسن علي بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك بن ابراهيم بن عبد الملك السلمي الرّقي قراءة عليهِ بمدينة السلام في سنة ٥٥٣ (١١٥٩م) فاقرَّ بهِ. قال اخبرني الشيخ ابو منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر الجواليقي قراءة عليهِ يوم الخميس لاربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول من سنة ٥٣٢ (١١٣٨ م) فاقرَّ بهِ. قال: اخبرنا الرئيس ابو علي محمَّد بن سعيد بن ابراهيم بن نَبهان الكاتب بقراءتي عليهِ فاقرَّ بهِ في ٤٩١ (١٠٩٨م). قال اخبرنا الرئيس ابو الحسين هلال بن الحسن الكاتب قراءة عليهِ وانا اسمع فاقرَّ بهِ في صفر ٣٢٥ (٩٣٧ م). قال اخبرنا ابو بكر محمَّد بن السريّ السرَّاج النحوي قال اخبرنا ابو سعيد الحسن بن الحسين السكَّري قال اخبرنا ابو الحاتم سَهل بن محمد السِّجستاني وابو الفضل العبَّاس بن الفرَج الرياشي قالا: قال ابو زيد سعيد بن اوس الانصاري:

صفة اللبأ واللبن

العرب تقول في صفة اللِّبا (مهموز مقصور): (اللِّبَأ (١) ولَبَأتُ الناقةَ(٢ واكثر ما يكون ثلاث حلَبات واقلُّهُ حلبةٌ. (والمُفصِح) يقال: أفصَحَتِ النـاقةُ وافصح اللبنُ إفصاحًا اذا انقطع وأخلص. وهي (الرُّمثة)(٣ تنزل في الضرع بعد الحلب. يقال أرمثتُ ورمَّثتُ في ضرعها رُمثةً والجمع الرُّمَث. وقال بعضهم (المُفاقة) ان تُترك الناقة على الفصيـل بعد ما ينقص ما في ضرعها فيجتمع لهُ من اللبن فواقًا خفيفًا. (والعُلالة) ان تكون الناقة تُحلب في اول النهار وآخرهِ فيحلبها في وسط النهار فتلك الوُسطى هي العلالة وقد يُدعينَ كلهنَّ علالة. (والدَّوْق) اللبن الكثير. قال ابو حاتم: لعلَّهُ فارسي معرَّب يريد الدَّوْغ. لم يعرف الرياشي الدَّوْق. (والإِذل) الخاثر الشديد الحموضة. (والـكَثْء) فَعْل (مهموز اللام) اللبن. ويقال للحلب غُدوةً صَبوح (ص ٣٠) وعشيّةً غَبُوق. ويقال للّبن اذا حفل في الضَّرع (صرًى) ولا يُدعى صرًى الّا وهو في الضرع. الرياشي: صَرًى وصِرًى لُغتان. اخبرني ابو عبيدة عن يونس (الفَواق والفُواق) الدرَّة بعد الحلب حُلبت على درَّتها وان لم تُحلب فربَّما عجّلت وربَّما أخرت. (والفيقة)

١) اللِّبأ اول اللبن في النتاج ٢) اي احتلبتُ لِبأها

٣) الرُّمثة بقيَّة في الضَّرع

ايضاً والفُواق قدر ما بين المغرب الى العشاء . ومن اللبن (الحَلَب) وهو المَخض وهو ما لم يُخالطهُ ماء . ومنهُ (الصَّريح) وهو ما ذهبت رغوتهُ . وهي (الجُفالة والثُّمالة) للرغوة . قال اعشى بني عُكل :

وان لم تقدّر خمرةً من ثُمالها فانّك عن ألبانها سوف تسمنُ

ومنهُ (النَّسْء) مهموز على تقدير الفعل وقد مدَّها بعضهم . وهو الحليب يخالطهُ الماء . ويقال (نَسَأْتُ) اللبنَ أنسأهُ نَسأً وهو (المَذيق والسَّمار والضَّيح والخَضار والسَّجاج) . (والفَضيح) الذي قد ذهبت رُغوتهُ . ومنهُ (النَّريض) وهو مثل الحليب في السقاء . ومنهُ (السَّامط) وهو الذي يصوّت في السقاء من طراءتهِ وخُثورتهِ وخَثرهِ ايضاً . (والخامط) الطيّب الريح . يُقال : ما اطيب خَمطَتهُ . (والقارص المُطْقِم) الذي قد اخذ طعم السقاء . (والماضرُ) الذي بين المتخّل والقارص وهو (المَضِير) . ومنهُ (المُمحَّل والسَّلَّج) وهو ما حُقن في السقاء ولم يأخذ طعماً . وهو (العُاهج) ايضاً . ومنهُ (المُكلِط والثَّلِط) وهو (الخاثر) وقد خثَر يخثُر خُثوراً . ومن اللبن (الرَّثيئة) وهو ان يحلب على الحامض فيخثر . وهو (المُدَبِّد) ايضاً . وهو (المُتَلبِّخ) وأتلبَّخ اتلباخاً . ومنهُ (المُثير والمَثير) الشديد الحموضة الى المرارة . (والصَّقرة) مثلهُ . ثمَّ الحامض هو (الحامز) ثمَّ (الحاذر) وهو اشدّ حمضاً من الحامض . (والعاتك) مثل الحازر . (والعَرق) الخيث الحمض . (والقاطع والحاذق) مثلهُ . (والباسل) مثلهُ . (والصَّرْب) مثل العَرق ايضاً . ويُقال : قد (خَثَر) اللبن (وأَمذَقرّ واختلَفَ وتَفلّق) وذلك اذا تقطَّع من الحموضة . (والحَقين) ما أُدخل في السّقاء اذا كان حليباً وحامضاً . (والضَّريب) ما حُلب من عدَّة لقاح ثمَّ خُلط وضُرب بعضهُ ببعض . ولا يقال ضريب لأقلّ من لبن ثلاث أينُق . ويقال ضريب ايضاً اذا حُلب من الليل ثمَّ حلب عليه من الغد فيضربهُ . (والضَّهل) ما ضَهَلَ اي تجمَّع في السقاء او الضَّرع من اللبن ضَهَل يَضهَلُ ضهولاً . (والعَكيس) أن يُخلط اللبن بإهالة او مرق . وما يُحلب من اللبن على التمر ثم يُمارث به فهو (الصَّقعَل) . ويُقال للبن المَذيق (ضَيحٌ) . و (الخَضار والثُّمال) الذي ماؤهُ أكثر من حليبه . (والقَطيبة) ان يُخلط لبن المعز بلبن الضأن وهي (النَّخيسة) ايضاً تدعى النخيسة اذا حمضت . وكلّ ممزوج قطيبٌ . ويقال : رحيق قطيبة . والخاثر المُفلّق

قد خثر خثوراً . (والهجينة) الخاثر من ألبان الشاء . (والدُّوَاية) تكون على ظهر اللبن شبه الخِرْقة قال:

آين لي بأكابٍ اذا كوبُ اصمَّ فتانهُ فيها ذبولُ
أحبُّ اليك ام عُسٌّ مُدَوٍّ ثنائهُ اذا جنح الاصيلُ

(والشّهاب) مثلُ (السَّمار) ومثلهُ (الأَوْرَق) . (والنَّهيدة) الزُّبدة العظيمة . (والصريف) الحلب الطريّ الذي ينصرف عن ضرع الناقة الى المنزل . وقالوا (الرائب) الذي قد مُخض وأُخرجت زبدتهُ . وهو (المظلوم) وانمَّا سُمّي مظلوماً لانهُ يخرج قبل ان تخرج زبدتهُ ويُشرب ويُؤكل قال : [واهون مظلوم سقاء مروّبُ] وقال :

لا يعلم الوطب لابن العمّ يصحبهُ ويظلم العمّ وابن العمّ والخالا

ومن اللبن (الفاثئ) مهموز وهو الذي يُغلى حتى يرتفع لهُ زبد وينقطع عن التغيير وقد فثأ يفثأ فثأً . (والثَّمِيَّة) الزبدة . تمّت صفات اللبأ واللبن لابي زيد والحمد لله تعالى

العُقَد

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تتمَّة لما سبق)

١ (الخارجة) هي ان يُخرج هذا من اصابعهِ ما شاء والآخر مثل ذلك اشارة الى عددٍ يُريد كلٌّ منهما التصريح بهِ على خطر يتوقَّع احدهما الحصول عليه . امَّا كيفيَّة إجراء هذا الحساب فهي ان تُجمع الاعداد التي اشار اليها كلٌّ من المتخارجَين وان يأخذ احدهما بان يُلقي الأفذاذ من الاعداد الى مَن تمَّ الاتفاق ان تُلقى اليه والمزدوجة الى الآخر . والذي ينتهي عندهُ العدد يحقُّ لهُ ان يأخذ الرهن . مثال ذلك: وضع زيدٌ عشرين درهماً وعمرو مثل ذلك المبلغ ثمَّ وقع الاتفاق بينهما على ان تُلقى الاعداد الفذَّة الى زيد والمزدوجة الى عمرو . وعلى إثر هذا العَقد تخارجا في هُنيهةٍ واحدة فاخرج زيدٌ من اصابعهِ ما يُشير الى ٦ واخرج عمرو منها ما يشير الى ٣ ثمَّ جُمعت الكثيَّتان فجاء عنها ٩ ولمَّا كانت الأفذاذ لزيد والمزدوجات لعمرو فلا غرو ان العدد يفنى عند زيد الذي يقع عليه الخطا الاخير . وعليهِ فهو الذي يأخذ الرهن . هذا ولا تقع الخارجة بين اثنين فقط بل بين كثيرين . وحينئذٍ بعد ان تجمع الاعداد تُقسم على مجموع اللاعبين ثم تُلقى الفضلة على كلٍّ منهم والذي ينتهي عندهُ

العدد يأخذ الخطر . والمخارجة هي كما ترى نوع من المقامرة ولهــذا يُسمّيها اهل البادية عندنا بالمقامرة ايضاً

وقد رأيتُ بعضاً من ولدان اهل البادية يتخارجون على طريقة أخرى وهي: يقف اثنان كل واحد بازاء صاحبه ويدهُ اليمنى وراء ظهره او تحت ابطه او امام صدره ثمّ يظهرانها في وقتٍ واحدٍ وقد أخرج كلّ منهما طائفة من الاصابع لا تتجاوز العشرة من الاعداد. وبذلك الوقت عينه يصرخان معاً بعــدد من الاعداد يدلُّ على مجموع الكيتين والصائب يأخذ الرهن. وهذا النوع من المخارجة يكون ايضاً بين جمــاعة عديدة من اللاعبين. وهذه الطريقة معروفة من عهد المصريين القدماء.. وقد وُجد نقشٌ على احد القبور يُمثّل مصريّين يتخارجان. وكذلك كان يعرفها قدماء الرومان واليونان والفعل« تخارج » يقابلهُ عند الفرنسيين: jouer à la mourre وعند الرومان micare (s. e. digitis) ومنهُ الكلام المأثور عن شيشرون dignus est, quicumque in tenebris mices ومعنــاهُ : انهُ لجدير ان تخارجهُ في الظلمة. ومحصل المعنى : انهُ مشهور بالاستقامة والقسط

والمخارجة على هذا الوجه شائعة في يومنا هــذا في بلاد ايطالية كلها وبالاخصّ في نابولي. وكذلك في بعض انحاء العراق وجزيرة العرب. واماً على الوجه الاول فانها فاشية في جميع بلاد العرب وفي كافّة العراق والجزيرة

٢ً امّا (المُقارعة) عندهم قديمًا وحديثًا فهي كالمخارجة الّا انّ غايتها الاقتراع على حصص مختلفة الجنس او الكميّة او المقدار وهي معروفة بهذا الاسم عندنا الى يومنا هذا. وذلك مثلاً اذا دخل جماعةٌ من الفلّاحين بستاناً جديداً ركض كلٌّ منهم الى ما يحتاج اليه من الادوات غيرَ انّهُ يتّفق انّ ما يريدهُ هذا يريدهُ ايضاً اثنان او ثلاثة او اربعة فيقع الخصام بينهم وحسماً للمسألة يلجأون الى المقارعة. وبعــد ذلك لا يجوز لاحد ان يستأنف اللّدد لانهم يعتبرون المقارعة بمنزلة واسطة ينطق بها الله عزَّ وجلَّ. ولا يحقُّ لاحدٍ ان يختصم بعد ذلك والّا عوقب اشدّ العقاب او ربّما قُتل غيــلةً عند سنوح الفرصة

٣ً امّا (المُساهمة) فهي نفس المُقارعة لكنّها مخصوصة باقتسام الحصص في تركةٍ او ارثٍ او شركةٍ او نحو ذلك

٤ً امّا (المناهدة) فهي كذلك الّا انها مخصوصة بما يخرجهُ السفر من النفقات عند الغزو أو الزحف على العدوّ او لايّ غاية كانت. وهذه الحروف كلها وان كانت مفيدة بعض المعاني فانها كثيرًا ما تحلّ من هذا القَيد فتُطلق على كلّ ما يقرب من معناها من باب التوسّع ولهذا تترادف وتتعاقب

امّا اذا سألت: ولِمَ اهمل اللغويون شرح هذه المادّة شرحًا وافيًا ؟ — قلنا: انهم اكتفوا بالتلميح عن التصريح وبالشهرة عن التوضيح. وهم كثيرًا ما يفعلون هذا الفعل في الالفاظ المشهورة المألوفة. فيجتزئون بقولهم «معروف» عن ذكر التفصيل. ولمّا كانت هذه اللفظة مشهورة الاستعمال في زمان المؤلفين عند الحضر واهل الوبَر والمدَر اضربوا عن شرحها او اشاروا الى معناها من طرفٍ خفيّ

واذ قد وَثُرنا ذلك جاز لنا الانتقال الى ذكر قصيدة العُقد. وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

العُقَد

قال الشيخ الامام شمس الدين محمَّد بن أحمد الموصلي الحنبلي ناظمًا ما اصطلح عليهِ القُبْطيون في بيان العدد بوضع الانامل على كيفيَّاتٍ مخصوصةٍ واستعملهُ العرب ايضًا:

بحمدك يا ربّاهُ ابدأُ اوّلا ... فما زلتَ اهلًا للمحامد مُفضلا
وأُتبع حمدي بالصلاة على الرضا ... ابي القاسم المهديّ خيرِ من أرسلا
ومن بعد هذا ايها السائل استمعْ ... حساب اليدِ اذ عنهُ سألتَ مفصّلا
ففي عدد الآحاد يا صاح أفردنْ ... ليمنى يديك أعلم وإيّاك تجهلا (١
(فللواحد) أقبضْ خِنصرًا ثمّ بنصرًا ... (للاثنين) والوسطى كذاك التكمّلا(٢

---

١) اي اعلم بادئ بدءٍ انهم افردوا اليد اليمنى للدلالة على الآحاد

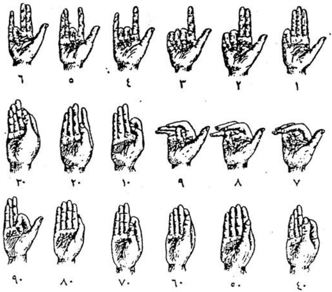
٢) اي اذا اردتَ ان تدلّ على (الواحد) فابسط جميع اصابع اليد اليمنى وضمّ طرف الخنصر الى الداخل. واذا اردتَ ان تدلّ على (الاثنين) فضمّ طرف البنصر وضمّ طرف الوسطى ايضًا ان اردتَ ان تدلّ على (الثلاثة)

بعدَ (ثلاثٍ) ثمَّ للخنصر أرقما　　(باربعةٍ) والبنصر (الخمسة) أكملا (١

وفي (الستَّة) أقبضْ بنصراً دون كلها　　على طرفٍ للراحة اسمهُ زانقلا (٢

وفي (السبعة) أقبضْ تحت الإبهام خنصراً　　وفي طرفٍ للراحة القبضَ فاجعلا

وللبنصر أرفع ثم في (الثامن) أضمنْ　　الى خنصر في القبض للبنصر أعقلا (٣



صورة العُقَد اي الحساب باصابع اليد

١) اي ان شئت ان تعدّ (الاربعة) فارفع الخنصر والبنصر وأبقِ الوسطى والبنصر مضمومتين. وان اردتَ (الخمسة)، فارفع الخنصر والبنصر وأبقِ الوسطى وحدها مضمومة

٢) اي ان احببتَ ان تُشير الى (الستة) فاقبض البنصر دون كلّ الاصابع على طرف الراحة اي ضمّهُ وحدهُ

٣) اي وفي عدّ (السبعة) اطوِ العقدة السفلى من الخنصر وحدها حتى يصل طرفها الى الفرزة وهي اللحمة التي تحت الابهام ومدّ اطراف الثلاث الى الداخل مع اطلاق الابهام. وكذلك افعل في عدّ (الثمانية) الّا انك ترفع الخنصر وتعقل عوضهُ البنصر

وفي (التسعة) الوسطى اضْمُمَنْ معها وفي   جميع الآحاد افعان ذا وان علا (١)
وفي (عشرةٍ) مع عَقْدِ الأبهامْ فاستمع   تُحلّق رأساً للمسبّحة أفعلا (٢)
وللظفر من ابهامك اجعلهُ بين اصـــبعيك هي (العشرون) فاعامهُ واعملا (٣)
وما بين رأس للمسبّحة أجمعنْ   ورأسِ للإبهام (الثلاثون) حُصِّلا (٤)
وان تركب الابهـام يا صاح فاحتفظ   لسبابةٍ (للاربعين) مُكمّلا (٥)
وإبهامَك أجعـلْ تحت سبابةٍ اذا   تمدّدتَ (للخمسين) فاحفظ تكملا (٦)
وتُركِبَ الابهام المسبّحة استمع   كقابض سهم وهي (ستون) أحملا (٧)
وعدّك (للسبعين) في بطن ثالث   لسبابةٍ ابهامك اعقلهُ تحملا (٨)
والإبهـام من تحت المسبّحة اجعلن   بناناً على ظفرَيْ (ثمانين) أكملا (٩)
وفي عدّ (تسعين) المسبّحةَ اقبضنْ   لما بين إبهام وما بينها أجتلى
وإبهامك اجعل فوقها مثل حيّةٍ   تروم وثوبًا (١٠) (والمئين) ألا أجعلا

١) اي وكذلك تفعل لعدّ (التسعة) الّا انك تبدل البنصر بالوسطى

٢) معنى تُحلّق تُدير كالحلقة. ومعنى المسبّحة السبّابة اي الإصبع التي تلي الابهام. وسُمّيت كذلك لانّ المسبّح يُشير بها وهي من اصطلاح المولّدين. ومحصّــل البيت هو: ان اردت ان تُشير الى (العشرة) فأدِر كالحلقة رأس السبّابة مع طرف الابهام وأطلق سائر الاصابع

٣) اي ويُشار الى (العشرين) بان تُدخل الابهام بين السبّابة والوسطى بحيث يكون ظُفُر الابهام ما بين العقدتين من وسط السبابة

٤) اي ويُدلّ على (الثلاثين) بان يجعل ما بين باطن طرف الابهام فوق باطن طرف السبّابة بحيث يكون بين ظفريهما بُعدٌ لئلا تشتبه بالعشرة

٥) اي ان اردتَ ان تُشير الى (الاربعين) ألوِ الابهام حتى تضع باطن طرفها على ظهر طرف السبابة

٦) اي (للخمسين) تجمع الابهام تحت السبابة لا غير

٧) اي يُشار الى (الستين) بان تبسط الابهام والسبابة وتضمّ باطن احداهما الى باطن الاخرى كقابض سهم

٨) اي وتُعدّ (السبعين) بان يُجعل طرف ظفر الابهام بين العُقدتين من باطن وسط السبّابة ويُلوى طرف السبّابة عليها

٩) اي ويُدلّ على (الثمانين) بان تُلصق الابهام بالسبّابة من تحتها

١٠) اي وتُعدّ (التسعون) بان يُضم طرف المسبّحة الى اصلها ضمّاً مُحكماً حتى تنطوي العقدتان اللتان فيها وتصير هيئتها هيئة حيّة تروم الوثوب

يسراك كالآحاد يا ذا العلوم من | يمينك فاحفظهُ وإياك تعدلا (١
كذا العشرات من يمينك انها | بيسراك يا هذا (ألوفٌ) على الولا (٢
(وعشرة آلافٍ) لإبهامك اجمعن | وذلك مع سبّابةٍ يا أخا العلا
بيسراك وأمهدْهُ كحلقةٍ أستمع | اذا طويتَ والرأس فاجعلهُ أسفلا (٣
وقد نجزت والحمد لله وحدهُ | ميسّرةً تبني اخا متفضّلا
يُسامحها فيما يرى من عيوبها | فما احدٌ عن ذاك يا صاح قد خلا
فخذها عروساً قد سمت شمس ضحوة | وبدر دياجٍ قد بدا متهلّلا
فان تمتنع كالبكر عند امتناعها | على بعلها عند الزفاف تدلّلا
فصفْ لها ذهناً غزيراً مجوّداً | وغص في بحار الفكر ثمّ تأمّلا
ترى لمانيها بزوغاً ككوكبٍ | ويأتيك منها العلم والفضل مقبلا

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الاستانة العليّة

ذكرنا في مقالتنا السابقة (المشرق ٣: ٧٨) تاريخ اكتشاف الطباعة وانتشار هذا الفنّ في اوربّة وألمعنا الى ما طبعهُ العلماء المستشرقون من التآليف الشرقيّة الجليلة لاسيما العربيّة الى اوائل القرن التاسع عشر. واليوم نستأنف الكلام في هذا الموضوع المفيد ونبحث عن دخول الطباعة في المشرق فنقول:

انّ القسطنطينيّة سبقت غيرها من عواصم الشرق الى هذه الصناعة الشريفة. لكنّ سلاطين آل عثمان العظام لم ينظروا في اوّل الامر الى المطبوعات بعين الرضى وانّما كانوا يخافون ان يعمد اصحاب الغايات الى الكتب الدينيّة فيحرّفوها ويشوّهوها بالتزوير. وذلك ما حمل السلطان بايزيد الثاني سنة ١٤٨٥ على ابراز حكمٍ غالٍ نهى

١) اي كما ان اليد اليمنى موقوفة للآحاد فاليُسرى موقوفة (للمئين)

٢) اي انَّ ما يدلّ على العشرات في اليد اليمنى فهو يدلّ على (الالوف) في اليد اليسرى والعَقد في الاصابع واحد

٣) اي ويشار الى (عشرة آلاف) بان تجمع ابهامك الى سبّابتك من اليد اليسرى بحيث يتألّف منهما شكل حلقة

فيه رعاياه عن اتخاذ المطبوعات (١ وجدّد السلطان الغازي سليم الاوّل امر ابيه سنة ١٥١٥. على انّ هذا الحكم لم يكن الّا موقّتاً وانتشرت الطباعة في دار السعادة برخصة أولي الامر

وكان اوّل من سعى بانشاء مطبعة في الاستانة العليّة يهوديّ عالم يدعى الربّي اسحق جرسون قدم الشرق لينشر بين اهل ملّته الكتب المطبوعة ويغنيهم عن المخطوطات التي لم يحصل عليها الّا بالمشقّة لندرتها. وتاريخ هذه المطبعة يرتقي الى اواخر القرن الخامس عشر. وكانت حروفها عبرانيّة وقد طبع اصحابها بعض الكتب العربيّة بالحرف العبراني

وهذه المطبعة الاولى في الشرق ادّت للآداب العبرانيّة خدمةً جليلة مدّة ثلثمائة سنة ولو اردنا إثبات قائمة الكتب العبرانيّة التي نُشرت في الاستانة لطال بنا الكلام واورث ذلك سأماً للقرّاء. فانّ عددها ينيف على مئة كتاب في جميع الفنون لكنّ الاغلب عليها العلوم الكتابيّة وشروح الاسفار الالهيّة وهي كلها لعلماء الربانيين من قدماء ومحدثين. وممّا ساعد على ترقّي هذه المطبعة في الاستانة نفوذ بعض اليهود عند ذوي المناصب وكان بينهم نُطُس الاطبّاء وعظام التجّار. واوّل كتاب طبعهُ الربّي جرسون في دار السعادة يرتقي عهدهُ الى سنة ١٤٩٠ م وهو ملخّص تاريخ اليهود ليوسيفوس بن كريون (٢. ثمّ تعدّدت هذه المطبوعات العبرانيّة وانتشرت بين العلماء ودونك بعض اسمائها بالعربيّة مع تاريخ طبعها: شرح سفر استير لاسحاق جرسون (نحو ١٤٩٥). كتاب رأس الايمان للعلامة اسحق ابرابنيل (١٥٠٥) مجموع امثال قديمة بالشعر لاسحاق صهلة (١٥٠٦). التلمود الصغير لاسحاق بن يعقوب الناسي (١٥٠٦). مختصر الشرائع لاسحاق بن كريبل (١٥١٠). مُعجم ناتان بن يحئيل (١٥١١). ومعجم داود كمخي (١٥١٣). ومجموع شروح للربّانيين (١٥١٥) على اسفار التوراة (١٥١٢). وقد طُبع في الاستانة نحو خمسة عشر شرحاً على التوراة كلّها لمشاهير علماء اليهود كشروح يعقوب بن اشر (١٥١٤) وابراهيم صبا الاشبوني (١٥١٤) وشرح ابراهيم بن يهوذا المتطبب (١٥٢٧) وكتاب المثنة لموسى بن ميمون الكاتب الشهير (١٥٠٩). هذا

---

١) راجع Notices et Extraits des Mss, I, 1787 p. XXVIII

٢) راجع معجم الدكتور روسّي Drs G. B. de Rossi: *Dizionario degli Autori Ebrei* I, 149

فضلًا عن شروح مفردة لكل سفر من الاسفار الالهيَّة كشرح سفر ايوب لاسحاق كوهن (١٥٤٥) وشرح الجامعة لصمويل اربول (١٥٨٦) .وشرح المزامير لابراهيم حانيم (١٧٥٠) . ومن مطبوعات القسطنطينية التي حازت شهرةً عظيمة كتاب التوراة العبرانيَّة مع شروح الربّي انكلوس (Onkelos) الشهير والترجمة العربيَّة لسعدي (او سعيد) الفيومي من ادباء القرن العاشر للمسيح والترجمة الفارسية للطوسي .وكلُّ هذه النصوص الاربعة بالحرف العبراني طُبعت في الاستانة سنة ١٥٥١

وقد ابرز يهود الاستانة كتبًا اخرى ادبية كديوان ابن ازوع بالعبرانيَّة ومقامات يهوذا الحريزي من كتبة القرن الثالث عشر اتّبع فيها طريقة الحريري (١٥٤٠). وديوان ابن جبرول (١٥٤٥) وهو الفيلسوف الشاعر الشهير المتوفى سنة ١٠٧٠ م. وديوان عمّانوئيل بن سليمان (١٥٣٥) وكتاب מרפה לשון اي مقوّم اللسان في اللغة العبرانيَّة لحبيب موسى (نحو ١٥٠٨) .هذا الى تآليف مختلفة في الفقه والتاريخ والطب والجدل نضرب عن ذكرها صفحًا .وما لا مريَة فيه انَّ هذه المطبعة العبرانيَّة لم تزل تغني الآداب بمنشوراتها الى اواخر القرن الثامن عشر . وقد طبعت شيئًا قليلًا من تآليف الموسويين بالعربيَّة كبعض رسالات لابن ميمون وترجمة التوراة للفيومي كما مرّ لكن هذه المصنَّفات لم تُطبع بحرف عربي .وعليهِ ترى انَّ ما كتبهُ صاحب الهلال (٦:٢٥٢) عن اوائل الطباعة العربيَّة في الاستانة لا يكاد يُشمّ منهُ رائحة الحقّ حيث يقول:

« ويظهر انَّ الطباعة العربية انتقلت الى الاستانة اولاً والدليل على ذلك انَّ التوارة العربية طُبعت طبعتها الاولى في الاستانة عام ١٥٥١ طبعها بعض الاسرائيليين وهي ترجمة سعيد الفيومي المشهورة . ونُسخ هذه الطبعة نادرةٌ جدًّا غير انَّ المطبعة التي طبعتها انطمس خبرها من ذلك الحين ولم نعد نسمع بمطبعة في الاستانة الى اوائل القرن الثامن عشر »

والصواب ما قلنا سابقًا .وسترى انَّ المطبوعات العربيَّة بالحرف العربي لم تظهر في الشرق الّا في اوائل القرن الثامن عشر في حلب الشهباء قبل القسطنطينية

وقبل ذكر هذه المطبوعات الحلبيَّة رأينا ان نلخّص تاريخ الطباعة في الاستانة ليكون القرّاء على بصيرة من احوالها فنقول:

· انّ الطباعة العبرانيّة لم تنحصر في الاستانة بل نقل اليهود هـذا الفنّ الى غيرها من المدن لاسيا سالونيك فانّنا نجد فيها مطبعة عبرانيّة في اوائل القرن السادس عشر · ومنها برزت كتب دينية وعلمية منها خطب مدينا بن صموئيل سنة ١٥٢٠ ومجموع في الطب سنة ١٥٩٦ وغير ذلك

امّا الطباعة بالحروف العربيّة فقد ظهـرت في دار السعادة على عهـد السلطان الغازي احمد الثالث في العشر الثاني من القرن الثامن عشر والفضـل في ذلك عائد الى محمد افندي چلبي المعروف بالثامن والعشرين (يكرمي سكز) والى ابنـه سعيد افندي وكان كلاهما من ذوي المدارك السامية والهمم القعساء. اطّلعـا في باريس ايّام سفارة محمد افندي على منافع الطباعة فاحبّا ان يتحفا بها دار الخلافـة . فلمّا عاد سعيد افنـدي الى الاستانة اخذ يسعى في إخراج مشروعهِ الى حيز الوجود فتذاكر مع ارباب الدولة واجتذب الى رأيهِ اصحاب المعـارف والفنون واجتمع بالصدر الاعظم ابراهيم باشا صهر الذات الشاهانيـة من مشاهير رجال ذلك العصر فصادق على نيّاتهِ وساعدهُ على تحقيق امانيـهِ . ثمّ كتب سعيد افندي تقريرًا رفعهُ الصدر الاعظم الى الباب العالي فلم يلبث ان يصدر الفرمان الشريف مرخصًا بطبع كلّ الكتب اللهمّ الّا كتب التفسير والحديث والفقه والكلام . وكان سبق شيخ الاسلام عبـد الله افندي فافتى باجراء ذلك (١ سنة ١١٢٩ هـ (١٧١٢ م)

ولقي سعيد افندي في الاستانة رجلًا مجريّ المولد والمنشأ نصرانيّ الدين كان اسلم وتخصّص بخدمة الدولة العثمانيّة يدعى ابراهيم اغا (٢ وهو من اصحاب الذكاء والتفنن عارفًا بالفنون والصنائع ماهرًا بالطباعة . فخابرهُ سعيد افندي وبذل كلاهما جهدهمـا في تأسيس المطبعة وجلب آلاتها وسكب قوالب حروفها

فلمّا اصبحت المطبعة تامّة الاهبة كاملة الادوات اخذ اصحابهـا في نشر الكتب التي كان العلماء في حاجة ماسّة اليها . واوّل كتاب طُبع في هـذه المطبعة هو صحاح

---

١) راجع المجلد الاول من تاريخ جودت ترجمة صاحب السعادة عبد القادر افندي الدنا (ص ٨١–٨٤) . وتاريخ الدولة العثمانيّة لهامر پرغشتال Hammer – Purgstall : *Hist. de l'Empire Ottoman* XIV, 197

٢) ويعرف ايضًا بابراهيم متفرّقة لراتب نالهُ (متفرقه دركاه عالى) من الدولة

الجوهري المنقول الى التركيَّة بهمَّة وانقولي سنة ١١٤١ هـ (١٧٢٨ م لا سنة ١٧٣٠ كما زعم الهلال). ثم تاريخ الحاج خليفة «تحفة الكبار في اسفار الابحار» في السنة عينها. وفي العام التالي (١٧٢٩) طبعت اربعة كتب تركية وهي: تاريخ تيمور لنك لابن عربشاه (تاريخي تيمورجرجان) نقلهُ نظمي زاده. وتاريخ مصر لسهيل. وتاريخي هندي غربي وتاريخي سيّاح. ويحتوي هذا الكتابان الاخيران تاريخ اميركا وتاريخ حرب الافغان في سنة ١٧٣٠ وكان نقلهما الى التركيَّة الاب اليسوعي كروزنسكي (Krusinski) من علماء ذلك العصر واحد اصدقاء ابراهيم اغا. سكن اولًا اصفهان ونشر الدين الكاثوليكي بين الارمن واتقن الفارسيَّة والتركية فعهد اليهِ الاحبار الرومانيون مهمَّات عديدة وخدم الآداب التركيَّة خدمات جليلة. وفي السنة الثالثة لانشاء هذه المطبعة برز منها تاريخ (حديقة) الخلفاء (كلشن خلفا) لنظمي زاده (١١٤٣—١٧٣٠) ثمَّ طبع سنة ١١٤٤ كتاب ابراهيم افنــدي في الابرة المغناطيسيَّة (فيوضات مغناطيسيَّه) وبعض تواريخ تركيَّة كتقويم التواريخ وتاريخ نعيما وتاريخ راشد وتاريخ عمر افندي

قال المؤرخ الضليع جودت باشا في تاريخهِ (ج ١: ٨٣): «وعدا عن ذلك فقد حفر ابرهيم افندي حروفًا فرنسويَّة وطبع خريطتي البحرين الاسود والخزر باللغتين التركيَّة والفرنسويَّة. ثم توفي سنة ١١٥٨ (١٧٤٥) وخلفهُ ابراهيم افندي القاضي فطبع قاموس وانقولي مرَّة ثانية وكتبًا أُخرى الّا انهُ وُجد في طبع هــذه الكتب كثير من الغلط والسهو مع رداءة الحروف

«ثمَّ توفي ابراهيم افندي حينما كانت الدولة العليَّة مشغولة بمشاغل كليَّة فلم يكن لها وقت ان تأذن في العمل من بعدهِ لاحد فبقيت المطبعة المذكورة معطَّلة مدَّة مديدة ثمَّ فتحت في سنــة ١١٩٨ (١٧٨٣ م) فطبع فيها تاريخا صبحي وغربي وكتاب اصول المعارف في ترتيب العسكر وكتاب اعراب الكافيــة ورسالتان في فن الالغام والحرب للمرشال وبان (Vauban) وترجمة قوانين الملاحة للسيو توركه (Troquet) واصول المعارف في ترتيب الاساطيل. وهذه الكتب لم تطبع خالية من الغلط كالكتب التي طبعها ابراهيم متفرقه

«ثمَّ صُبَّت حروف جديدة بنظارة عبد الرحيم افندي عند ما اشتدَّت الرغبة في رواج الامور النافعة ايَّام الدور السليمي فأُسست مطابع جديدة في اسكدار وقبره

خانه وطبع فيها من الكتب المفيدة نحو من خمسة واربعين كتاباً وانشئت مطابع جديدة أخرى وبلغت الصناعة المذكورة بالتدريج في دار السعادة الى الدرجة التي نشاهدها الآن » اه

هذا واكثر التآليف التي نُشرت بالطبع في دار السعادة في القرن الثامن عشر كانت باللغة التركيَّة. وقليل منها بالفارسيَّة والعربيَّة. ولمَّا عادت الطباعة القسطنطينية الى رونقها الاول في غرَّة هذا العصر تعدَّدت المطبوعات العربيَّة واجاز ذوو الامر طبع الكتب الدينيَّة فنُشر منها شيء كثير (١ وهذه اهمّ المطبوعات العربيَّة التي ظهرت في الاستانة مع ذكر تاريخها: كتاب تحرير اصول الحكيم اوقليدس لنصير الدين الطوسي (١٢١٦—١٨٠١) اظهار الاسرار للبركوي (١٢١٩—١٨٠٥) تهذيب المنطق للكلنبويّ (١٢٣٣—١٨١٩) رسالة الامكان لهُ (١٢٦٣—١٨٤٧) قصه الكدوسي (١٢٣٧—١٨٢١) شرح الرسالة الشمسيَّة في القواعد المنطقيَّة (١٢٣٨—١٨٢٢) وشرح القاموس لعاصم افندي (١٢٥٠—١٨٣٤) ملتقى الابحر لابراهيم الحلبي (١٢٥٨—١٨٤٢) شرحهُ «مجمع الانهر» لعبد الرحمان المدعو شيخ زاده (١٢٩٢—١٨٧٥) شرح غرر الاحكام لمحمَّد بن فراموز وتفسير البيضويّ (١٢٨٥ — ١٨٦٨) وشرح مقاصد عضد الدين الايجي للسيد الشريف الجرجاني (١٢٨٦—١٨٧٠) ومفتاح التفاسير لمحمَّد شريف الحافظ (١٢٨٩—١٨٧٣) وشمائل النبي للشيخ محمد الترمذي (١٢٦٤—١٨٤٨) تعليقات السيلكوني على شرح العقائد (١٢٣٥—١٨٢٠). وقد طُبع في هذه الاعوام الاخيرة كتب كثيرة كالطراز الانفس في شعر الاخرس وديوان مهيار بن مرزويه الديلميّ وسرّ الليال في القلب والابدال (١٢٨٤—١٨٦٨) وتاريخ ابي الفداء طبع في المطبعة السلطانية (١٢٨٥—١٨٧٠) وشرح قراح الارواح في الصرف وكتاب انيس الجليس وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ

---

١) قال جودت باشا في تاريخهِ ترجمة صاحب السعادة عبد القادر افندي الدنا رئيس محكمة تجارة بيروت (ص٨٦) ما حرفهُ: « لم يرَ علماء اصول الفقه من بأس بطبع الكتب الشرعية وان كان فيهِ اعمال تخلّ بتعظيمها وذلك استناداً على القضية المسلمة عندهم وهي « الامور بمقاصدها » فانهم بناء على هذه القضية اجازوا تجليد القرآن الكريم خوفاً من شتات اوراقه وضياعها مع ان في التجليد اموراً تخلّ بالتعظيم اكثر من الطبع مثل الرضّ بالمطارق والتضييق بالملازم والمقاصد الخيرية في تكثير الكتب نوعوا طبعها تعميماً لمنافع الطلبة فاستفاد من ذلك جميع اصحاب الفنون »

ومن المطابع التي اشتهرت في الاستانة منــذ نحو اربعين سنة مطبعة الجوائب نُشرت فيها تآليف جليلة كالجاسوس على القـاموس وديوان البحتري وديوان الطغرائي وديوان العباس بن الاحنف ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ورسائل الخوارزمي والهمذاني والموازنة بين ابي تمّام والبحتري ومقامات السيوطي وامثال العرب للضبّي ونثار الازهار في الليل والنهار ودرَّة الغوَّاص للحريري مع شرحها للخفاجي وترهة الطرف في علم الصرف للميداني وادب الدنيا والدين للماوردي ورسائل شتى لابن سينا والثعـالبي والمقريزي وغيرهما وكلُّها بحرف مُشرق جلي وورق صفيق

هذه لمعة في تاريخ طباعة الاستانة اثبتناها بغاية ما امكن من الايجـاز . ويلحق بها تاريخ المطابع التي أُنشئت في اوائل القرن التاسع عشر في اسكدار وازمير وقبره خانه غير انَّ المطبوعات التي خرجت منها قليلة وهي كلُّها تركيَّة واكثرها دينيَّة . واذا اضفتَ الى هذه المنشورات عدداً كبيراً من الجرائد التي اخذت في الشيوع منذ ستين سنة فهمت ما اصابتهُ الاستانة العليَّة من الترقّي والنجـاح الادبي في ظلّ السلاطين العظام ثبَّت الله اركان دولتهم مدى الاعوام (ستأتي البقيَّة)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل رينو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الرابع

في الغرق

وبعد مضيّ اربع وعشرين ساعة خمد هياج الزوبعة قليـلاً وسكن ثائر الامواج وهدأَت الريح بعض الهدوّ وزال ذلك الاضطراب الشديد الذي كان يتلاعب بالسفينة ويوشك ان يكسرها ويصيرها حطاماً . غير انَّ امائر القلق بدت على وجه الربَّان لأنَّهُ رأى انَّ السكَّان (الدفَّة) قد اختلَّ فلم يعد يطيع الحركة التي يحرّكهُ بها وشاهد انَّ الجزء الاسفل من السفينة قد ضعف جدًّا فصار يتوقع من دقيقة الى اخرى حدوث ثقب تدخل منهُ المياه . وبما انهُ لم يكن في السفينة سوى مضخَّة صغيرة لا تقوى على استخراج

المياه لو دخلت خطر لهُ ان يحوّل سفينتهُ الى مرفإٍ يأمن فيهِ عليها غير انَّها كانت بعيدة وتنئذٍ عن المرافئ والريح تسوقها الى جهة معاكسة لجهة اميركة

وكان فاضل في تلك الاثناء منهوك القوى لما أصابهُ من الدوار والهدام فلمَّا سكن البحر قليلاً خرج الى ظهر السفينة وكانت ثيابهُ مبلَّلة بما وصل من رشاش الامواج الى محلّ خلوتهِ. فشاهدهُ اوليك وابتدرهُ بالكلام قائلاً: « قد صدق ظني وأصبنا بزوبعة ويا لها من زوبعة »

— أما خفت ؟

— كيف اخاف. أما نحن جميعاً بين يديهِ تعالى ويدي أم حنون تحبُّنا جدًّا ؟

— ولمَّا تعالت الامواج واوشكت ان تبتلعك أما ارتجفت ؟

— بادرتُ حالاً فتلوت فعل الندامة الحقيقيَّة طالباً من الله تعالى صفحاً اذا كنت قد ارتكبتُ ما يهينهُ. ثمَّ ناديت مستغيثاً بالبتول المدعوَّة كوكب البحر واغمضت عيني وحينئذٍ غمرني الموج وانتظرت الموت وكنت اتذكَّر وقتئذٍ والدي المنكود ووالدتي المسكينة واقول في نفسي اني ساجتمع معهما في السماء. غير ان العذراء القديسة أبت ان اموت

— ألا تخشى الموت ايضاً ؟

— ولماذا اخشى الموت وقد افهمتني والدتي اني اذا حافظت على طهارة القلب والنيَّة فانَّ الله يأخذني الى السماء. أما ترى السماء كم هي جميلة ؟

— من اين تعلم انها جميلة ؟

فنظر اليهِ النوتي الصغير نظر المتعجب من كلامهِ ثم سكت حشمةً وحياء

فقال فاضل: ألا ترى انَّ مهنتك شاقَّة كثيراً ومع ذلك فوجهك منها يسير. وشحوب وجهك يدلُّني على انك تقاسي منها اشدَّ المرارة

— نعم ان مهنتي شاقَّة ولكن النوتي خُلق لمثل هذه المشقَّة. ولقد علَّمتني امي ان أقدّس الاتعاب التي أعانيها كلَّ يوم واقدّمها لله لعلمي انها ستكون لي اكليلاً في المنزل العلويّ كما كانت اكليلاً لابي. وتقول « ان دمجي قليل » وهو كما ترى غير انَّهُ كافٍ لاعطاء حسنة تدَّاس على نيَّة والدتي متى تهيَّأ لي النزول الى البرّ

— يظهر انك لا تفتكر في المستقبل

أجاب النوتي قائلاً: هل يُوثق بالمستقبل فأننا نحن النوتيَّة قد تعلَّمنا في البحر ان لا نعوِّل على الغد. وفي كل دقيقة وساعة يمكن سقوطنا من ساريةٍ او حبلٍ ولاسيما اننا نصعد اليها حفاة الارجل وتكون السفينة وقت اضطراب البحر تتقلَّب الى كلّ جهة وصوب. وكلَّما ارتقيتُ الى حبلٍ اقول في نفسي: «انك يا الله عالم بسريرتي فاشفق عليَّ وانتِ ايتها الام الحنون اكتنفيني تحت ذيل حمايتك حتى اذا متُّ اذهب توًّا الى السماء فاشاهد هناك والدي ووالدتي »

قال هذا ثمَّ اردف: « والآن لا بدَّ لي من مفارقتك لان رئيس النوتيَّة ضربني ذاك اليوم لمَّا رآني وقفت اتكلَّم معك »

— فاذًا هو قاسٍ في معاملتك ؟

— نعم لا يخلو من القسوة. وما يزيدني حزنًا انهُ لا يحب العذراء القديسة كما احبُّها انا لأنهُ بروتستاني المذهب وفوق هذا كلِّهِ هو رديُّ القلب خبيث النيَّة

والحقيقة انَّ النوتي الصغير كان مُضطهدًا من كلّ من في السفينة لانهُ وحدهُ كان كاثوليكيًا بين جماعة كلّهم من اللوتريين المتعصبين. ولم يكن يدافع عنهُ الَّا الربَّان فهذا كان بالرغم عن جفاء طبعهِ وجهومة وجههِ يميل اليهِ ويودّهُ ودًّا حقيقيًا. امَّا رئيس النوتيَّة فكان بعكس ذلك يبغضهُ بغضًا ما عليهِ مزيد. الَّا ان اوليك كان يحتمل قسوتهُ بصبرٍ عجيب. وكان هذا الرئيس الذي يدعى هاريس (Harris) كثيرًا ما يحرمهُ الاكل واذا سمح لهُ بشيء يعطيهِ فضلات الآخرين ونفاية مأكولهم. ولم يكن يمرّ يوم دون ان يغلظ لهُ التوبيخ او يضربهُ ضربًا شديدًا. امَّا اوليك فكان يبكي سرًّا متبتّلًا صورة العذراء ومقدّمًا اوجاعهُ واهاناتهِ لهداية مضطهدهِ

وبينما فاضل يهمُّ بالدخول الى حجرتهِ وهو آسف على مغادرة صديقهِ الجديد سمع صوتًا مختنقًا يصخب ثمَّ ظهر رجل طويل القامة عريض الاكتاف متين البنية محمر الوجه من كثرة شرب المسكرات فمشى على ظهر السفينة وعيناهُ تقدحان الشرَر فنادى اوليك بصوت أبحّ قائلًا: « لقد كنتُ ظننت اني اتخلَّص منك ايها اللعين » واردف هذه الالفاظ بكثير من التجاديف المنكرة التي لا ينطق بها الَّا فمٌ متدنّس

امَّا اوليك فما تجاسر على الجواب

ثمَّ استتبع هاريس كلامهُ قائلًا:

« لمَّا كان الرَّبان قد التقطك ايها الرديء لزمني ان أُعنى بتهذيبك وتقويمك. ويا ليتهُ لم يفعل وتركك تموت على قبر امّك. واذا فار غضبي عليك فاعلم ان عذراءك القديسة لا تخلّصك من بين يدي »

قال هذا التجديف وانقضَّ عليهِ ليضربهُ

امَّا فاضل الذي كان يرى ويسمع فهجم من فورهِ وقام بين ذاك الرجل الوحشي والنوتي اوليك والتفت الى هاريس قائلاً: « ايَّاك ان تمدَّ اليهِ يدًا »

فتعجب هاريس في بادئ الامر من تعرّض فاضل لهُ وسألهُ ببرودة: « من تكون انت » ؟

فقال فاضل: « لا يعنيك ان تعرف من انا ولكن ايَّاك ان تمدَّ الى الولد يدًا »

— الا تعلم ان هذا الولد في حوزتي وتحت سلطتي ؟

— كلَّا انهُ ليس تحت سلطة احد

— بماذا احسن اليك حتى تدافع عنهُ ؟

— وبماذا اساء اليك حتى تعاملهُ بهذه القسوة ؟

— انَّ اساءتهُ لي عظيمة جدًّا. فقد وشى عليَّ لدى الرَّبان اني كذّاب وسرَّاق

فعندها صرخ اوليك قائلاً: « اني لم انطق بشيءٍ من هذا اصلاً »

— أتنكر ؟ فسوف نرى من هو المحقّ منَّا

ثمَّ وثب عليهِ ليضربهُ فحال بينهما فاضل قائلاً:

— حذَّرتك من ان تمدَّ يدك الى هذا الولد

— من كان مثلك لا يمنعني عنهُ

قال هذا ودفع فاضلاً دفعةً قويَّةً فألقاهُ على الارض وانقضَّ على اوليك يضربهُ ويرفسه حتى صرخ صرخة عظيمة

وكان النوتية متفرّقين وكلٌّ واحد منهم مهتمّ بعملهِ فلمَّا سمعوا الصيحة تجمَّعوا ليروا ما يكون فشاهدوا رئيسهم يضرب اوليك ضربًا وحشيًّا غير انهم لمَّا كانوا متعودين ان يروا منهُ كل يوم مثل هذه الفظاعات اخذوا يتهقهون ضحكًا على اوليك وفاضل الذي اراد الدفاع عنهُ. وسبب ذلك ان الجميع كانوا يهابون هاريس ويتخوَّفون بطشهُ ويعرفون انَّ الويل يحلّ بمن لا يطيعهُ. هذا فضلاً عن انهم كانوا قد اشمأزّوا من التفات الرَّبان

الى الغلام المذكور ولذلك وقفوا ينتظرون نهاية الامر دون ان يتوسَّطوا فيهِ

غير انَّ الربَّان كان واقفاً في تلك الساعة في اعلى السفينة فشاهد كلَّ ما جرى ورأى كيف حال فاضل بين رئيس النوتيَّة والغلام وكيف دفعهُ هاريس تلك الدفعة المؤلمة والقاهُ على سطح المركب متوجّعاً

وكان الربَّان يعتبر فاضلاً لانهُ كان ينفق عن سعةٍ ولهذا عظم عليهِ ان يتحمَّل اهانة كهذه من بحَّارٍ اطار الشراب لبَّهُ

ففي الحال بادر الى النزول وشاهد الغلام اولريك وقد صبغ الدم وجههُ. فصفر فجاء اليهِ اربعة من النوتية فامرهم ان يقبضوا على هاريس ويكبّلوهُ بالاغلال

وحينئذٍ دارت بينهم وبين هاريس معركة هائلة غير انهم كانوا اقوياء واشداء فغلبوهُ وقيَّدوا يديهِ ورجليهِ وحملوهُ الى داخل السفينة

حينئذٍ التفت الربَّان الى الغلام اولريك قائلاً: ارى الدم يقطر بكثرة من انفك ؟

فقال اولريك: « انهُ شيء لا يُذكر وقليل من الماء البارد يقطعهُ ». ثم انهُ برقَّة تسحر العقول اتبع ذلك بهذه الكلمات :

« انَّ هاريس تعب كثيرًا بينما كانت سفينتنا في خطر فاراد ان يجدّد قواهُ غير ان الشراب خانهُ وعليهِ فليس هو مسؤولاً بكلّ ما عملهُ. وفضلاً عن كل هذا ترى انهُ لم يُلحق بي اذًى »

فقال الربَّان: يا لك من غلام صالح النيَّة لا يغيّر صلاحهُ شيء. ثم التفت الى فاضل فرأى الدمع يترقرق في عينيهِ فخاطبهُ بقولهِ :« لو كان النوتية دائماً نظير هذا النوتي لكنتُ اسعد الناس عيشةً »

كنت قد قبلتُ اولريك شفقةً عليهِ في باخرتي التي كنتُ اسافر عليها في سواحل ارلندة ومذ ذاك لحق بي في جميع اسفاري وكنتُ كلّما عاشرتهُ وخبرتُ اخلاقهُ ازيد محبَّةً لهُ وانعطافاً اليهِ بالرغم عن جفاء طبعي الذي لا يقبل التليين بسهولة »

قال فاضل: انَّ اولريك ايها القبطان قصَّ عليَّ خبر وفاة والدتهِ فذهب كلامهُ من قلبي كلَّ مذهب ولهذا وثبتُ للدفاع عنهُ لمَّا رأيتهُ على وشك السقوط بين يدي هاريس

— هاريس خالٍ من القلب ومجرَّد من كلّ عاطفة فيكذب ويسرق دون خجل

— كان يتشكَّى من اولريك انهُ يغتابهُ ويطعن في حقهِ

— هي دعوى كاذبة لاني مع طول عشرتي لاوليك لم يكلمني عنهُ قطعاً. ولكن بما اني رددت كيدهُ في نحره ولم يكن قادراً عليَّ اراد ان يتشفّى من رجل بارّ. ثم انّ لي عينين أبصر بهما ولا احتمل ان يخدعني احد. ولكنهُ متى اشمأزّ الانسان من آخر ونفر منهُ فبالطبع يسوءُ فيه ظنُّهُ وتخبث عليه نيّاتهُ. آه يا ليتهُ يعلم اني إجابةً لطلب اوليك والحاحهِ أبقيتهُ في باخرتي ولكني أعدك باني لا ابقيه عندي زمناً طويلاً

— ومع كلّ هذا فقد حامى اوليك عنهُ ؟

« نعم فانهُ امس واليوم ما زال يبتهل اليَّ للعفو عن جريمته وتأخير طردهِ الى وقت وصول السفينة لمحلّ قريب من وطنهِ. وهو يقول لي: ماذا يحلّ بهذا المسكين اذا تُرِك وحدهُ في هذه النواحي المتجمّدة وليس بين يديهِ فلس وكل شيء فيها غالٍ. فانهُ لا شكّ يموت من الجوع والشتاء. ثم انّ لهُ والدةً يتفطّر قلبها حزناً وأسفاً اذا علمت بشيء من ذلك

« ولقد ادهشني هذا الكلام الذي سمعتهُ من فم ولدٍ لاسيا واني عالم بان هاريس يبغضهُ ويمقتهُ كثيراً. ولذلك اثَّر كلامهُ في قلبي مليّنا صلابتهُ ورغبت في مشاهدة ما سيجري لأرى هل تلين فظاظة هريس بازاء رقة ولطف اوليك لاسيا واني كنت محتاجاً الى هاريس في شؤون السفينة لما هو عليهِ من الذكاء وشدّة الساعد مع درايته باحوال البحر. ثم ان مَن عندنا من النوتية هو دون العدد اللازم لنا للقيام بالاشغال كلها. وبناء عليهِ احتفظت بهاريس وقد رأيتَ انهُ في اثناء الزوبعة كان لنا نعم العون »

قال فاضل: الا ترى ايها الربّان ان الريح ستسكن واننا سنصل قريباً بحمد الله احد الموانئ فنأمن ؟

— لست حتى الآن آمناً عواقب الزوبعة فان الريح صدمت سفينتنا صدمة قويّة اضرّت بها ولا تزال تعاكس مسيرنا وتحولنا الى غير الجهة التي نقصدها. وما ادراك اذا كان في البحر هنا مجرًى تحت الماء يسوقنا الى بلاد مجهولة

ثم انّ الربّان دعا فاضلاً لمرافقته الى المرقب فرقي معهُ السلم ولكن بعناء لاضطراب البحر فلمّا بلغ قمّتهُ وقعت عينهُ على مشهد بديع فبانت لهُ السفينة كالقلفد مثل جوزة صغيرة ملقاة في وسط اليمّ وهي تتقلّب في وسط بحر عجّاج يتلاطم بالامواج لا تظهر لهُ نهاية معلومة ولا حدود محصورة. وكانت السفينة مع انكسار ساريتها تشق

الامواج والريح لا تزال تصفر صفيرًا هائلًا من جهة الغرب وتتلاعب بما بقي من قلوس السفينة التي كانت تمشي زائغــة عن خطّ مسيرها بسرعة لا تقلّ عن عشرة اميال في الساعة

امّا فاضل فوجم ساكتًا امام هذا المشهد المخيف ثم سأل الرّبان قائلًا: اتظنّ اننا ما زلنا بعيدين عن البرّ ؟

ففتح الرّبان خارطةً بحريّة كبيرة وانكبّ عليها. فقال فاضل: اين نحن الان ؟

— لا ادري بالتمام وها قد مضى عليّ يومان دون ان اتمكّن من رصد ارتفـــاع الشمس لعدم ظهورها. امّا الابرة المغنطيسيّة فقد كانت حركتها حائرةً في وقت الزوبعة حتى اني لم استطع تصديقها. وقد كان سفرنا من سان ميشل يوم الاثنين والآن نحن في يوم الخميس وعلى ظنّي اننا على خط الدرجة الخمسين من الطول الشمالي. واذا استمرّ الجرى في قوّته لا بُدّ لنا ان نبلغ الى برّ آسية

وبينما القبطان يقول ذلك سمع صوت النوتي المكلّف بالمراقبة يصرخ: «البرّ البرّ». فاهتزّ فاضل طربًا لدى سماع الصوت وشخص ببصره الى الأفق لكنّهُ لم يرَ شيئًا

— أترى البرّ ايها السيّد الرّبان فاني مع تحديقي لا ارى غير سماء وماء ؟

— لستَ معتادًا على الرصد يا فاضل فخذ هذه النظارة وابصر

فنظر فاضل واذا بشاطئٍ كثير الرؤوس والصخور لاح لهُ من جهة الغرب فسرّ بهذا المنظر ثم ناول النظـارة الى الرّبان فتعرف الارض واذا هي جزيرة كانت الريح تسوق اليها السفينة كلفئلند

وكانوا كلّما اقتربوا يزيد البرّ ظهورًا وقد لاح لهم خليج على الشـاطئ الشرقي غير انّ الرّبان كان يوجس خوفًا لما يرى من شدّة الريح وقوّة مجرى الميـاه. وخصوصًا لما يشاهد من الصخور البـارزة فوق وجه الماء. فاخذ يفكر في الطريقة التي يستطيع بها التخلُّص من اصطدام السفينة بها. ومع بليغ اجتهادهِ لم يقدر على ضبط سيرها لان السكّان لم يكن يطاوعهُ فأمر بتخفيف النار. فسارت السفينة بعض الهدوّ مارّةً بين رأسين يشبهان مرفأً طبيعيًا حتى اذا ادركا وسط الخليج سُمع لها صوت قرقعة هائل. وقبل ان يسمح لهم الوقت بمداركة الامر توارت السفينة عن العيان غائصةً في اللجة

(ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

TRAITÉS MYSTIQUES D'AVICENNE

رسائل الشيخ الرئيس الشهير بابن سينا في اسرار الحكمة المشرقية

publiés par le Dr M. A. F. Mehren

IV Fascicule. Traité sur le Destin, Leyde, 1899

رسالة القدر

الدكتور «ميكائل بن يحيى المهرنيّ» من مشاهير اساتذة اللغات الساميَّة في كليَّة كوبنهاغ يُعمل النظر منذ امد مديد في دراسة فلسفة العرب ولهُ في ذلك تآليف شهيرة ومقالات مسهبة ادرجها في المجلات العلميَّة. ومنذ بضع سنين تفرَّغ للبحث عن رسائل ابن سينا المعروفة باسرار الحكمة الشرقية فنشر منها في ثلاثة اجزاء رسالة حيّ بن يقظان مع شرحها لابن زيلع تلميذ ابن سينا والثلاثة الانماط الاخيرة من الاشارات مع شرح مختار لنصير الدين الطوسي ورسالة الطير ورسالة العشق ورسالة ماهيَّة الصلاة وكتاب في معنى الزيارة وتأثيرها ورسالة في دفع الغمّ من الموت (١. ولكلّ هذه الرسائل ترجمة افرنسيَّة وتذييلات مفيدة. واليوم قد بلغنا القسم الرابع من هذه الرسائل ومضمونهُ رسالة ابن سينا في القَدر «صنَّفها (على زعم الجوزجاني) في طريق اصفهان عند خلاصهِ وهربهِ». وغاية الشيخ الرئيس فيها ان يبيّن ما لله من الاحكام في خلائقهِ يتصرَّف فيها كيف يشاء. فيعزّي نفسهُ بذلك في الضيق والمحن. وهذه الرسالة منقولة الى الافرنسيَّة وعليها تعليقات وشروح. فنشكر الدكتور المتولي طبع هذه التحفة الادبيَّة هِمَّتهُ القعساء ونتمنى ان ينشر عمَّا قليل الآثار الدفينة التي اكتشفها في زوايا المكاتب الاوربيَّة

GÉBAL-BYBLOS

Son Histoire dans l'Antiquité et sa Nécropole phénicienne

par le Dr J. Bouvier.

تاريخ جُبيل القديم ومدفنها الفينيقي

انَّ في سواحل فينيقية لكنوزًا مطمورةً يجدُّ العلماء في استخراجها من قلب

١) نفيد حضرة الدكتور مهرن انَّ في خزانة كتبنا الشرقيَّة مجموعًا قديمًا حسن الخطّ يحتوي على قسم من هذه الرسالات منها رسالة حيّ بن يقظان مع شرحين مطوَّلين عليها ورسالة الطير ورسالة اثبات النبوَّة وشرح عينيَّة ابن سينا. ولعلَّنا ننشر في المشرق شيئًا من هذه الرسائل ان شاء الله

الارض. ولعلَّ جبيل اغنى من سواها بهذه العاديات لقدم عهدها وتوالي الدول الغابرة عليها. فذلك ما دعا الدكتور جول روفيه احد اساتذة مكتبنا الطبي على جمع اخبارها ووصف احوالها منذ القرون الخالية بُعيد الطوفان وفي ايام الفراعنة ثمَّ الاشوريين ثمَّ الفرس ثمَّ اليونان ثمَّ الرومان. وفي هذه النبذة النفيسة مطالب جليلة وابحاث عديدة عن مسكوكات جبيل ومغاورها ومدافنها كلّها فوائد اثاب الله كاتبها وانسى في اجله خدمةً للعلم والوطن

يوميَّة الاحوال لسنة ١٩٠٠

هي الهدية التي بها اتحف صاحب جريدة الاحوال جناب الاديب خليل افندي البدوي قرَّاءهُ في رأس العام الجديد بدلًا من الروايات التي كان يهديها اليهم سابقًا تذكارًا لاشتراكهم. وقد اجاد في تفضيله هذه الهدية على سواها لانَّ لهذه اليوميَّة عائدةً كبرى وهي تشتمل على تقويم السنة واعلانات شتى يقف بها التجار على امور عديدة تجديهم نفعًا كبيرًا لمعاملاتهم ثمَّ جداول يوميَّة لضبط الصندوق وتدوين المقبوضات والمدفوعات وكلُّ ذلك على طريقة مستحدثة في بلادنا لكنَّها شائعة في أمَّهات المدن الاوربيَّة. فتتمنى لهذه اليوميَّة كلَّ اقبال ل. ش

شذرات

تأثير النور في الحيوان — سبق لنا في المشرق ما لألوان الطيف الشمسي من التأثير في نماء النبات ونصوعة الوانه. ومن مرويَّات البشير (٢٢ ك٢ ع ١٤٢٠) انَّ الطبيعيين من العلماء اخذوا يستعملون الانوار الملوَّنة في الحيوان واوَّل حيوان خطر لهم ان يجرّبوا فيه تأثير النور هو دودة الحرير فاتخذوا منها سبعمائة دودة مضى على نقفها ستَّة ايَّام ووضعوها في اثنتي عشرة خزانة صغيرة وعلى كل خزانة لوح من الزجاج ملوَّن بلون يختلف عن الآخر ثمَّ شرعوا في اطعامها من ورق التوت. وكانت الالواح الزجاجيَّة على الترتيب الآتي اي اللوح الاول عادم اللون والبقيَّة احمر مُشبَع واحمر زاهر وبرتقالي واخضر ناصع واخضر مشبع وازرق زاهر وازرق مشبع وبَنفسجي زاهر وبنفسجي مشبع وتُرِك بعض الدود في الهواء المطلق بدون غطاء

امَّا الحرارة في منزل الدود فكانت مرتَّبة بضبط بين ١٨ و ٢٢ درجة وقد وُزن الدود والفيالج والفراش ثم البزر ايضاً . وكانت النتيجة الحاصلة عن تأْثير النور كما يأْتي:

انَّ الدود الذي وُضع تحت الزجاج الخالي من اللون اعطى اعظم كمّيَّة من الفيالج ويليه الدود الموضوع تحت الزجاج البنفسجي الزاهر . والذي وضع تحت الزجاج الاخضر المشبع اعطى اقل كمّيَّة منها امَّا الذي تحت الهواء المطلق فاعطى اردى كمّيَّة

وقد تبيَّن انَّ الالوان المختلفة تؤثر في نوع الدود فكانت الاناث ٥٦ في المائة تحت الزجاج العادم اللون ٣٧ فقط تحت الزجاج الاخضر الزاهر . وان أحسن الاناث هي التي كانت تحت الزجاج البنفسجي الارجواني ثم البرتقالي ثم الخالي من اللون فانها تكون أشدّ حركةً ونشاطاً من التي تعيش تحت اللون الاخضر

وظهر انَّ للنور ايضاً فعلاً عظيماً في وزن البزر لانَّ بزر الدود الموضوع تحت اللون البنفسجيّ الارجواني يزيد وزنهُ ضعفاً على وزن بزر الدود الموضوع تحت اللون الاخضر . فقد ظهر ممَّا تقدَّم بيانهُ ان لهذه الامتحانات شأناً كبيراً لانهُ لا يبعد التوصل بواسطتها الى تحسين جنس الدود وتكثير ما يعطيه من غلَّة الحرير

رأي الهلال في الارتقاء قرأنا في العدد الاخير من الهلال مقالة لصاحبهِ الاديب تشكَّى فيها ما يلقاهُ الكاتب الشرقي دون الغربي من المشقَّات وما يعترضهُ من العقبات لارضاء قرَّائهِ على اختلاف نزعاتهم وتفرُّق كلمتهم في المذاهب وتباعد اخلاقهم وتباين اذواقهم الى ان قال (ص ٢٣١) :

« واذا كان الكاتب من كتَّاب الطبيعيَّات ذكر اكتشافاً او اختراعاً او رأياً جديداً اتهمهُ بعضهم بالكفر وسخروا باقوالهِ وشاركهم في التهمة عليهِ فئة من جمهور العامَّة وهم جماعة كبيرة لا يزال بعضهم حتى اليوم . . لا يفهمون معنى ناموس الارتقاء ولا لوم عليهم وبين زعمائهم من لا يفرق بين الدين والعلم »

(قلنا) لقد اساء الهلال الظنَّ باهل الشرق اذ نسب اليهم تعصُّباً اعمى يحملهم على تكفير من يعرض عليهم الاختراعات والاكتشافات . وها جريدتنا البشير ومجلتنا المشرق توقفان الجمهور على ترقي العلوم وانواع الاكتشافات فلم نسمع احداً يرمي اصحابهما بالزندقة . وكذلك يقبل القرَّاء الشرقيون باقاويل كلّ المجلات العلميَّة اذا اسند كتبتها رواياتهم الى اسانيد موثوقة وحجج مقنعة . وان انكر بعض الجهلة هذه الامور فليس اعتماد الكاتب على الجهلة — ولكن ألا يحقُّ للقرَّاء ان يفحصوا قول الكتبة

ليتبيّنوا صحّة قولهم لاسيَّما بعد ان رأيناهم غير مرّة ينسبون الى العلم ما كان العلم براء منهُ . أفما قال لنا الهلال مثلًا (راجع المشرق ٢: ١١٥٢): « انّ العلماء وجدوا بالجماجم الاخيرة في الانسان انّ اسنانهُ كانت اكثر عددًا واعظم جرمًا ممّا هي عليهِ اليوم . وانهُ كان يستخدمها للدفاع عن نفسهِ كالحيوانات . . . وانّ الانسان كان لهُ سابقًا ثلاثة عيون » وغير ذلك من السفاسف التي فنّدناها في اوقاتها دون أن يجسر الهلال ان يدافع عنها ؟ او ليس المقتطف ينسب الى العلم آراء كثيرة واهنة بينها وبين العلم الصادق بونٌ عظيم . فنعم ما يصنع اذًا القراء اذ يطالبون الكتبة عن صحّة اقوالهم ولا يقبلون دون انتقاد وتمييز مزاعمهم كأنّها الكلام المنزل

امّا ما زادهُ الهلال انّ البعض ينكرون ناموس الارتقاء فهو دليل جديد على حسن ذوق القراء الشرقيين ورسوخ قدمهم في الدين والعلم معًا . وان كان صاحب الهلال يزعم انّنا لا نفهم ناموس الارتقاء (لاننا على يقين انّهُ لم يصوّب سهمهُ على غير مجلّتنا التي تصدّت للرأي الدرويني وخطّأتهُ مرارًا) فما لهُ لم يثبت جهلنا ويكشف القناع عن الحقيقة فاننا نعدهُ الوعد الصادق اننا لا نتأخر عن اتباع رأيهِ اذا ما اقام عليهِ البيّنة ولا نطلب منهُ غير برهان واحد قطعيّ

وبئس ما ختم بهِ الهلال قولهُ عن زعماء الدين اذ قال: « وبين زعمائهم من لا يفرق بين الدين والعلم » أجل ايها الصديق اننا نفرق بين الدين والعلم ونقدر كلًّا منهما قدرهُ . ولكن أعلم انّ الدين والعلم اخوان توأمان يرتبطان برباط غير منفصم والاثم من حاول فصلهما او زعم ان بينهما اختلافًا وتضادًّا لاننا نعلم انهما يصدران من مصدر واحد هو الله عزَّ وجلَّ . فانّهُ تعالى نور ليس فيهِ ظلمة البتة (وهذا شعار مجلّتنا) فهو ربُّ الدين كما هو ربُّ العلم ولا يمكن ان يوجد مطلقًا اختلاف بينهما . وتريد الهلال انّ كلَّ دين ينافي حقيقةً واحدةً علميّةً تناقض تعاليمهُ الاصليّة هو دين فاسد لا يجوز للانسان ان يتّبعهُ

فجلة غريبة — رأينا منذ اسبوع فجلة من الفجل البلدي اقتلعها من جنينتهِ جناب ن. افندي الغرزوزي فذكّرتنا بخصب ارض الميعاد . وطول الفجلة اربع قبضات (نحو ٤٥ سنتيمترًا) وضخمها كضخم ساق الرجل او اضخم يتفرّع منها تسعة فروع وبلغ وزنها رطلين وثمانية اواقٍ . وقيل لنا انّ في الجنينة

نفسها. فجل كثير مثلها بل أكبر منها على اشكال مختلفة وقيل ان احداها زاد ثقلها على ٩ اقّات. اما تربتها فنيها سعاد قديم لم تُحرث منذ زمن مديد يسقيها ماء نهر الكلب

انقضاض الصاعقة على مرصد المدرسة الاميركانية — بينا كان حضرة الاب م. كولنجت ينشر مقالتهُ في الصاعقة والقضيب الواقي منها اذ صُعق مرصد المدرسة الاميركانيَّة في رأس بيروت في ١٧ ك ٢ غير انَّ الآلات الفلكيَّة الكبرى لم تُصب باذًى بحوله تعالى. وقد فصَّل جناب شكري افندي معلوف في آخر عدد مجلة الطبيب خبر انقضاض الصاعقة على المرصد المذكور مع وصف مفاعيلها الغريبة

حلّ المشكل الحسابي الوارد في عددنا الثاني — اتانا حلُّهُ بعد طبع عددنا الاخير لحضرة الخوري انطون رومانوس احد اساتذة مدرسة مار يوحنَّا مارون ولجناب سليم افندي الخوري

أسئلة وأجوبة

س سالنا بعض افاضل البلدة هل للتشاؤم بعدد ١٣ اثر عند العرب

التشاؤم بعدد ١٣

ج تصفَّحنا كثيرًا من كتب الشرقيين لنتبيَّن صحَّة الامر فلم نجد لهذه الخرافة اثرًا عند العرب. وانما اخذها اهل بلادنا عن الفرنج كعادات أُخرى مرذولة وكانوا عنها في غنًى سامحهم الله

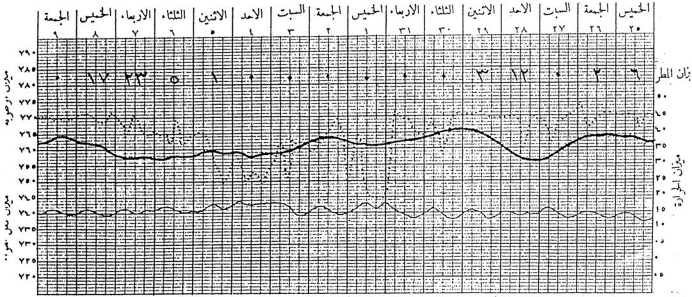
س سالنا من حلب حضرة الاب م. ا. هل كانت السنة على عهد آدم شمسيَّة كسنتنا اي مركَّبة من ٣٦٥ يومًا

السنة على عهد آدم

ج قد اجبنا على هذا السؤال في المشرق (٢: ١٩٠) فليُراجع ل. ش

※ تصحيح بعض الاغلاط ※ ص ٤٧ س ٢ و ٣ « غاية ما كنا. . . سوى كونها » والصواب « غاية ما كنَّا . . . كونهُ » = ص ٧٩ س ١١ « الحلَّة السريَّة لابن الاثير » والصواب « الحلَّة السيراء لابن الابَّار » = وفيها س ١٥ « المرية » والصواب « المريَّة » = ص ٨٠ س ٥ « اليودي » والصواب « اليهودي » = ص ٩٥ س ٢ « والالف محتلسة في كلتا الروايتين » والصواب « في احداها فقط » = ص ١٢٤ س ٥ « على وزن فعلى مثل حجلى » والصواب « فِعْلى وحِجْلى » = ص ١٢٦ س ٩ « والمرجَّح » والصواب « والمرجع » = ص ١٣٩ س ٣ « قد اطلنا » والصواب « أَطلنا » وفيها س ٦ « وهذا » فلتحذف

قائمة للآثار الجوّيّة   من ٢٥ كانون الثاني الى ٩ شباط   ١٩٠٠



انَّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (.....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّنَ التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات